القواعد الأُوَل
في
صناعة الإنسان والدول

شرح حديث عبد الله بن سلام رضي الله

في

كلمات رسول الله صلى الله عليه وسلم الأولى لما قدم المدينة النبوية

كتبها

الشيخ عمر بن محمود أبو عمر

أبو قتادة الفلسطيني

حفظه الله تعالى

النور للإعلام الإسلامي

القواعد الأول في بناء الإنسان والدول

شرح حديث عبد الله بن سلام Z

في كلمات رسول الله T الأولى لما قدم المدينة النبوية

الطبعة الأولى
١٤٣٣ – ٢٠١٢م

:0

النور للإعلام الإسلامي
Al Nur Islamic Information
Vesterbrogade 208 Box: 276 – 1800 Frederiksberg C. Denmark
Phone: (45) 2077 4828. E-mail: alnur1@hotmail.com



فحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم، وبالجملة فالسلامة من الخطر، أمرٌ يعِز على البشر، فسترَ الله على من ستر وغفرَ لمن غفر:

فَانْظُرْ إِلَيْهَا نَظَرَ الْمُسْتَحْسِنِ   وَأَحْسِنِ الظَّنَّ بِهَا وحَسِّنِ
وَإِنْ تَجِدْ عَيْباً فَسُدَّ الخَلَلاَ   فَجَلَّ مَنْ لاَ فِيهِ عَيبٌ وَعَلا
وَالحَمْدُ للهِ عَلَى مَا أَوْلَى   فَنِعْمَ مَا أَوْلَى وَنِعْمَ المَوْلَى
ثُمَّ الصَّلاةُ بَعْدَ حَمْدِ الصَّمَدِ   عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى مُحمَّدِ
وَءَالِهِ الأَفَاضِلِ الأَخْيَارِ   مَا انْسَلَخَ اللَّيْلُ مِنَ النَّهَارِ[1]

---

[1] الأبيات من «ملحمة الإعراب» للقاسم بن علي بن محمد بن عثمان، أبو محمد الحريري البصري. (٤٤٦ ـ ٥١٦هـ / ١٠٥٤ ـ ١١٢٢ م).

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه أستعين

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على محمد الأمين، وعلى آله الطيِّبين الطاهرين، وعلى صحبه أجمعين. أما بعد:-

فعن عبد الله بن سلام Z قال: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ T الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ - أي تجمَّع - النَّاسُ إِلَيْهِ. وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ T، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ T عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ، أَنْ قَالَ:-

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ».

رواه الترمذي ٧/٢٠٠/ح٢٥٣٤. وقال: هذا حديث صحيح، ورواه أحمد ٦/٦٣١/ح٢٣٣٩٩، وابن ماجه ١/٤٢٣/ح١٣٧٥، ٢/١٠٨٣/ح٣٣٢٩، والدارمي ١/٣٤٠/ح١٤٦٧، ٢/٢٧٥/ح٢٦٣١.

كلهم من طريق عَوْفٍ بن أبي جميلة الأعرابي عن زُرَارَةَ بْنِ أَوْفَى عنه. والحاكم في «المُستدرك على الصحيحين» ٣/١٤/ح٤٣٣١، ٤/١٧٦/ح٧٣٥٥، وصححه ووافقه الذهبي.

☆☆☆☆☆

تمهيد

فهذا حديثٌ جليلُ الشأنِ عظيمٌ في بيان أساس بُنيان المدينة النَّبويَّة، إذ فيه أول كلمات قالها النَّبِيُّ T لما أشرقتْ وتنورتِ المدينة بقُدومه، وإنما تعرف عظمة القواعد الأُولى من خلال النهايات الباسقة العظيمة، ولما كانتِ المدينة النَّبويَّة هي أساس المَدنية الإسلامية، ومجتمعها هو أساس المُجتمعات المُؤمنة، وقواعدها هي قواعد الحياة التي يحبها الله لِعَبِيدِه، فإنَّ هذه المدنية النَّبويَّة قد قامت على هذه الكلمات العظيمة التي شكلت قاعدة حياة مجتمع الصَّحابة ﷺ، فكل ما حصل فيها مِن الخير إنما مُنطلقه متانة القواعد، فكل ما نما من خيرٍ لغيرها مِن المُدن إنما وقع بسبب أصالة هذا الخير في المدينة النَّبويَّة، وهي كلمات شكلت بناء الإنسان المُؤمن الذي يستحق وُلُوجَ الجِنان، وحين حصول هذا الاستحقاق فإنَّ ما وراءه سهلٌ ميسورٌ في هذه الحياة الدنيا، ذلك لأنَّ أهل الجنَّة إنما هم أهل العِزَّة الإيمانية، وهم أهل التأييدِ والنَّصر الربَّاني.

لقد كانت هذه المدينة العظيمة محطَ النظرِ الإلهي، ففيها يتنزل الوحي، وفيها يُتلى، وفيها تتعاقب ملائكة الرحمن على المُصلين والذاكرين والمُتصدِّقين، فإنها وإن كانت فقيرة في المال فإنها غنيةٌ بالطاعات والأعمال، وإنها وإن كانت ليالي أهلها بلا سُرُجٍ مادية إلاَّ أنها مُنوَّرَةٌ بالصلاة والدعاء والذكر، كما كان لحمة أهلها الحب والتواصل بلا حسدٍ ولا حِقْدٍ ولا تنافسٍ على الدنيا.

لقد كانت هذه الكلمات النَّبويَّة العظيمة مُتوجهة إلى الإنسان باعتباره فرداً وإلى الإنسان باعتباره جزءاً مِن كلٍّ، وكانت كذلك هادية لدرب هذا الإنسان إلى السعادة الحقيقة، وهي السعادة الأبدية بعد الموت بدخول الجِنان، كما كانت هذه

الكلمات حاوية لأُسس المُدن السعيدة التي تستحق البقاء والدوام، كما تستحق الوِراثة والقيادة للإنسان والعالَم.

لقد أرستْ قواعد الأمان الاجتماعي والأمان الاقتصادي، ووَجَهَتْهُ إلى أعظم ما في هذا الوجود، وهو أمان الله تعالى بحُسْنِ العلاقة بين العبد وبينه، وهذا هو مصدر السلام الوجودي كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢].

بهذه الكلمات الجليلة كانتِ الخُطبة النَّبويَّة الأولى لهذا المجتمع الجديد الوليد، إذ وجههم إلى أنفسهم، وحملهم همَّ قضية التغيِّير، فلم يصنع ما يصنع اللاَّغون مِن حمل الوعود إليهم، فليس هم إلاَّ بأنفسهم، فعليهم إنْ أرادوا الجِنانَ وما يسبقها مِن الفَوْزِ أنْ يسعواْ هم، وأن يبذلوا جُهدهم همْ، ولذلك كانت هذه الكلمات دالة أنه جاء ليأمرهم ويرشدهم ليعملوا ويجتهدوا ويبذلوا، فيُنفقون طاقتهم، ويسهرون جُهدهم، وهذا هو سبيل الهُدى النَّبوي لا ما يفعله جهلة اليوم من الذين يُسَوِّقُونَ أنفسهم للنَّاس أنهم يملكون العصا السحرية للتغيِّير، وكأنَّ الأُمَّةَ مفعولاً به لا فاعِلاً، فيستمع النَّاس لهم وقد امتلأت جوانحهم بأحلام الغد الذي يحمله هؤلاء السحرة فيرجعون إلى بيوتهم بلا تكاليف ولا عزائم جديدة، وتمضي الأيام ولا يبقى من هذه الخُطب إلاَّ الكلمات الفارغة التي لم تحقق إلاَّ وَهْماً وكسلاً.

إنَّ هذه الإرشادات النَّبويَّة ميزانٌ يُقاسُ به صِدق الدَّعاة والمُصلحين، فمن لا يُدَنْدِنْ حولها فهو مُبْطِلٌ، ومَن سار بالنَّاس على غير هَدْيِهَا وسبيلها فإنما هو مُتقفر طُرُقِ الهُدى والخُسران، كما إنَّ هذه الكلمات هي مقياس معرفة أُولئك الذين يقفون على أبواب المُدن عارضين أنفسهم للقيادة الرشيدة التي تحقق لإنسان هذه المُدن السعادة، لأنَّ زماننا قد شَهِدَ زحمةً كُبرى في هذا الباب، وقد صار أسهل ما يتقمصه أهل صناعةِ الكلمات ما يُقال له العمل السياسي، وقد

تماهى المسلم مع غير المسلم في ما يقول ويدعو إليه، واتحد أمرهما حتى إنك لا تميِّز بين إبليس وغيره، ولا بين كافر ومسلم، وبمجرد ذِكْرِ الآخرة والجنَّة والنَّار يعني أنَّ صاحبنا لم يعد مُصلِحاً سياسياً ولا مُصْلِحاً اجتماعياً بل هو مجرد واعظ مسجد، وما أسرع أن يُقال له: كُفَّ عن هذا فلسنا في خطبة جمعة، أو لسنا في موعظة دينية، ولذلك غاب الإيمان عنِ الذِكرى، وغابت معالمه في خطاب المُصلحين المسلمين!! - زعموا - ونسوا قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج: ٤١].

النبي T وهو سيد المُصلحين، وإمامُ دُعاةِ الخير، وهو خيرُ مَن أقامَ مجتمعَ الخير والأمن والسلام عَلَّم المهتدين والمُقتدين بأثره أن يجيِّشُوا النَّاس وراءهم تحت دعوةٍ واحدةٍ، وتحت وعدٍ واحدٍ لا غير: الجنَّة، فالآخرة هي الأصل، وكل خيرٍ إنما يكون خيراً وصلاحاً بسبب ارتباطه بهذا الوعد الإلهي، وإنْ خلا العمل من هذا الارتباط كان وَبَالاً وفساداً وضلالاً حتى لو كان على صورة الخير كما قال تعالى في أمثال هؤلاء الذين يعملون من غير ذِكْرَى الدار الآخرة: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٣]، فهل يجرؤ دُعاة بناء المدنية الإسلامية اليوم أن يقولوا في خطابهم السياسي والاجتماعي ما قاله رسول الله T في خطابه الأول حين دخل المدينة ليبنيها بناء الإسلام ويقودها على هدي القرآن؟.

إنْ تفكرتَ في هذا علمتَ سببَ التأييد الإلهي للرسول T والمُقتفين أثره، ولماذا أطلت المدينة غيرها من المدن، ولماذا صار رجالها هم صُناع التاريخ وبُناء الحضارة، ثم علمت كذلك لماذا يرتكس زاعمُو الإصلاح اليوم في وِديان الذلة والمهانة، ولم يزد أمرهم إلاَّ تقليد الكافرين في دينهم في معرفة ما هو الصلاح والفساد في الوجود.

المدينة النَّبويَّة مدينةُ الطاعات الإلهية، ومدينةُ الدين ولأنها كذلك فإن الإنسان فيها حبيبٌ لأخيه المسلم قولاً وفِعْلاً، قلباً وقالِباً، وهو كذلك عابدٌ لربِّه مخْبِتٌ له في السرِّ قبل العلنِ، وفي الليل كما في النَّهار، وهو في سعيه ذلك إنما عينه على تحقيق الرضى الإلهي ودخول الجِنان.

إنهم يقولون اليوم في زماننا الكثير، وكل ما يقولونه إنما ينشأ عندهم من غير نَبْتِ حبِّ الدار الآخرة لكنهم يأتون إلى كتاب الله وسنة رسول الله T ليتخذوا منه حُلية زائدة لما يقولون ويفعلون، فلا عجبَ أن تجد مؤسسة أمنية مجرمة؛ تقتل المسلمين المجاهدين، وتُعذب الدُّعاةَ الموحِّدين، وتخدم المجرمين والطواغيت والمُشركين تتخذ شعاراً قرآنياً لها، كما إنك تجد مؤسسة علمية أُخرى لا علاقة للرئيس فيها ولا المرؤوس مع الدار الأُخرى، ولا لهم رغبة بالجِنان، ومناهجها جاهلية إلى النُخاع وهي مع ذلك تزين شعارها بآية قرآنية تحض على العلم والتعلم، ولذلك صار الدين تابعاً أسيراً، كما توزعت خيراته التي أتى بها فروعاً لأصل إرضاء الله ودخول الجِنان إلى أشلاء ميتة بين أيدي أُناس لا يُقِيمُونَ لدين الله شأناً.

هذا التنازع على هذه الأشلاء الميتة لانقطاعها عن الأصل أصاب العاملين لإصلاح العالم الإسلامي من رافعي شعار الإسلام، ودليل ذلك قبولهم الدخول في نفس النسق الذي تحكمه الجاهلية، فلا يجوز في أُسس هذه الجاهلية أن تُعلن في برنامجك الاقتصادي حُرمة الربا لأنَّ فيه محاربة لله ولرسوله T، ولا لأنه يحقق المحقَ الإلهي، بل لك الحق أن تضع في برنامجك الاقتصادي ما تحب من ذلك كحرمة الربا لكن على أساس قواعد الجاهلية في قطع هذا كلِّه عن الآخرة وحبِّ الله أو بُغْضِهِ، ولذلك صار الخلاف بين الإسلام وغيره من الجاهلية والكفر مَنْسِياً بسبب هذه الظاهرة الخطيرة، ولم يعدِ النَّاس في بصيرةٍ من أمرهم في معرفة حقيقة الفريقين، لأنَّ الخلاف بينهم في ما يُعرض بسبب انحراف «دعاة الإصلاح

تحت مظلة الجاهلية» صار شكلياً، ودُنيوياً بحتاً لا وجود لاسم الدين فيه، ولا لاسم الله ولا للغيب ولا للدار الآخرة، فهل بعد ذلك كله يحق لأحدٍ أن يسأل لماذا يرتكس هؤلاء في وِديان الذلة والفشل، ولماذا ترتد تجاربهم عارّاً على الإسلام والمسلمين؟!.

لقد ذهبَ هؤلاء بعيداً عن جوهر الخلاف بين الإسلام ومخُالفيه، بل إنَّ الكثير من الأحزاب الإسلامية قد زحفت إلى مواقع العلمانيين لا لترثها هداية لأهلها بل لتنافسها في وراثة دينها وجوهرها، ولذلك فلا عجبَ أن يُطالب بعض الغيورين فيها ممن فيهم بقايا دين لهذه الأحزاب «السياسية» أن يلتزموا بالأحكام الشرعية في ما يخص سلوكاً مشيناً لنساء هذا الحزب في إحدى الاجتماعات فتنبري له ابنة رئيس الحزب[1] التي لبستْ لباساً يمثل حالة هزلية لشعار الجمع بين «الأصالة والمعاصرة»، فهو في أَصالته سابغٌ، وفي معاصرته شافٌ لما تحته لتقول لهذا المسكين المُتدين!!: «نحن هنا في حزبٍ سياسيٍّ ونرفضُ أن تعيدنا أنتَ وأمثالك إلى القرون الوسطى».

مسكين هذا «المُتديِّن» لأنه لم يعلم أنَّ الجماعة ذهبوا بعيداً، وكم كنتُ أتمنى من هذا «المُتديِّن» أن يُطالب بوضع توصية في هذا المؤتمر لتحض أتباعه على قِيام الليل حتى نرى بسمات السُخرية وضحكات الاستهزاء كيف ستنطلق من هؤلاء المجاهدين في هذا الحزب العَتيد، ودعوني أذهب في الحُلم بعيداً فأتخيل ما لو طلب هذا «المُتديِّن» أن يخصص في اجتماعات الحزب وقتاً للحديث عنِ الجنَّة والنَّار وعذاب القبر، وسأترك للقارئ تخيل ما سيصنعه هؤلاء «المُثقفون» الذين يريدون إعادة الإسلام إلى حياة النَّاس وقيادتهم.

[1] إنه حزب النهضة التونسي، ورئيسه راشد الغنوشي. وصاحبة الكلام ابنته، وحصل هذا في أحد مؤتمراتهم ببريطانيا.

إنَّ الدعوة الجامعة لتيارات العمل الإسلامي بإحياء الإسلام وتجديد الدين وفتح باب الاجتهاد، والعودة للكتاب والسنة هي مجرد شعارات يقفِ الكثير من أصحابها على تجديد الورق والحرف، وعلى إحياء حرب الكلمات بين الفِرَقِ التي لم يَعُدْ لها وجودها إلا مجرد انتساب «قبلي» عند مؤسسات وطوائف تعتاش وتأكل من هذا الانتساب، وهي دعوة عند كثيرين لا تعني أبداً إلاَّ مجرد مفتاح للوُلُوجِ إلى عالم لا يمتُ إلى الدين والتديُّنِ بصلة، بل هو فتحٌ لِباب التشهي النفسي والاستحسان العقلي للقَوْلِ على الله وعلى دينه ما ليس فيه، مما يصنع ديناً خاضعاً لقانون العصر الذي يعتمد على الشهوة واللذة والمصالح الدنيوية والذاتية، إذ عامة أتباع هذا الفريق لا يعلمون شيئاً عن كتاب الله ولا عن سنة رسول الله T، بل جل اهتماماتهم قراءة «فكرية» بدأت من وسط إسلاميٍّ مُقاربٍ ووصلت إلى المحيط العلماني ورُؤيته للدين ومهمته في هذه الحياة، فتضلعوا من قِيحِهِمْ وصَدِيدِهِمْ فلم يبقَ بينهم وبين الدين إلاَّ صلة الاسم والدعوى والشِعار، ولذلك فلا عجبَ أن يصل رأس الخط البيَّاني في الفساد عندهم أن يدخلوا في دين المُشركين والكافرين الذين أفسدوا العِباد والبلاد.

هذا الصراع بين فريق الحرف والورق والأحزاب القبلية القديمة، وبين وفريق «الإسلام العصري» هو ما يتجاذب الوسط الإسلامي، ولا يقع المرء الذي يريد دين الله إلاَّ في أحد الفريقين فلا يصدر بعد ذلك إلاَّ القليل ممن يأخذ هذا الدين من مصدريْهِ، فيقبل بقلبه وعقله على الكتاب والسنَّة من خلال منهج الصحابة ووُرَّاثِهِمْ، ويذهب في هذا الباب بكله وبجدٍ وإصرارٍ، داعياً ربَّه أن يُوفقه للحقِّ، وأن يهديَّهُ لأرشد أمره وأن يُبصره سواء السبيل.

إنَّ هذا الأمر جِدُّ خطيرٍ ويحتاج إلى إخلاصٍ في القَصْدِ، واستعانةٍ مُتواصلةٍ، وعقلٍ بصيرٍ، وقراءةٍ لا تتوقف، وثقةٍ تامةٍ بما كان عليه الصحابة والتابعون لهم، وأن لا يقول قولاً يلقى به وجه ربِّه حتى يحيط به إحاطة العالم البصير الراسخ،

ثمَّ عليه أن يخلع رِدَاءَ التقليد للمُعاصرين، فإنْ كان لا بدَّ من تقليدٍ فإنَّ تقليدَ الشافعي ومالك وأبي حنيفة وأحمد رضوان الله عليهم خيرٌ من تقليد هؤلاء الصغار الذين هم كالبقل مُقابل أشجار العِلْمِ الباسقة، ويحيط ذلك كله بأن لا يخاف إلاَّ الله في قول الحق، وأن تكون الآخرة بين عينيه في كل حالٍ، فإن حصل لك هذا فإنه يُرجى لك النَّجاة بإذن الله تعالى.

والحمد لله ربِّ العالمين

☆☆☆☆☆
☆☆☆☆
☆☆☆
☆☆
☆

قوله T: «أَفْشُوا السَّلاَمَ»

هذه هي القاعدة الأُولى في بناء المجتمع الإسلامي، وبها يتحقق الأمن الاجتماعي، وذلك من خلال نشر الحبِّ بين أفراد هذا المجتمع، ولتحقيق هذا المقصد فلا بدَّ من إعلان هذا الشعار بين أهله، يتداولُونه في كلِّ لقاءٍ وعند كلِّ فِرَاق، فلا يَلقى المرء أخاه إلا بهذه الكلمة العظيمة: «السلام عليكم»، ولا يُفارقه إلاَّ بها، فليستِ الأُولى بأحق من الثانية كما قال رسول الله T: «**إِذَا انْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَجْلِسِ فَلْيُسَلِّمْ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ فَلْيُسَلِّمْ فَلَيْسَتِ الأُولَى بِأَحَقَّ مِنَ الآخِرَةِ**»[1].

لقد عَلَمَ رسول الله T طريق بِناء هذا الحب، والذي هو فوقَ الأمان وأعظم منه فقال: «**أفشوا السلام بينكم**» ولذلك كان من فِقْهِ الصحابة في إفشاء السلام لتحقيق هذا الأمر أن يُسلمِ أحدهم على الآخر حتى لو عرضت بينهم شجرة أو جِدار أو حجر، ذلك لأنَّ كلمة الإفشاء تعني النشر والبث في كلِّ جوانب الحياة.

إنَّ السلام أمانٌ بين النَّاس، وقد ألقى الله في هذه الكلمة من الخير ما لا يعلمه إلاَّ هو، ويكفيها فضلاً أنَّ الله هو «السلام» كما في الحديث الشريف عند البخاري[2]: «**لا تَقُولُوا السَّلاَمُ عَلَى اللهِ، فإِنَّ اللهَ هُوَ السَّلاَمُ**». وعند الطبراني[3]:

---

1 «سنن الترمذي»: ٧/٤٥٠/ح ٢٧٧. بزيادة: «.. **فَإِنْ بَدَا لَهُ أَنْ يَجْلِسَ فَلْيَجْلِسْ**..». وقال: هذا حديثٌ حسنٌ. وَقَدْ رُوِيَ هذَا الْحَدِيثُ أيضاً عن ابنِ عَجْلاَنَ عن سعيدِ المَقْبُرِيِّ عن أَبيه عن أَبي هُرَيْرَةَ عن النبيِّ T. «سنن أبي داود»: ١٤/١١٦/ح٥٢٠٣. «السنن الكُبرى للنسائي»: ٦/١٠٠/ح١٠١٠٦. «مُسند أحمد»: ٢/٤٥٨/ح ٧١٢٢. «صحيح ابن حبان»: ١/٢٥٦/ح٤٩٤، ٤٩٥.

2 «البخاري»: ١/٢٨٧/ح٨٢٦.

3 «معجم الطبراني الكبير»: ١/١٨٢/ح١٠٣٩١.

«**إِنَّ السَّلَامَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ وُضِعَ فِي الأَرْضِ فَأَفْشُوهُ بَيْنَكُمْ**»، ولذلك كان رسول الله T يقول كما عند مسلم[١]: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ**».

وإنَّ من فضائل هذه التحية أنْ جعلَ بذلها مع بذل الطعام هو خير ما في إسلام المرء لقوله T وقد سُئل: أَيُّ الإِسلامِ خَيْرٌ؟ قال: «**تُطْعِمُ الطَّعامَ، وَتَقْرَأُ السَّلامَ عَلَى مَن عَرَفْتَ وَمَن لم تَعْرَف**»[٢]. وبهذا جعل رسول الله T ما يُبذل من كلمات بين المؤمنين في حالٍ واحدةٍ مع بذل الطعام لهم، لأنَّ كِلاهما نافعٌ بينهم وعلى معنًى واحدٍ من تحقيق إرضاء الله تعالى وتقوية أواصر الحبِّ بينهم، ذلك لأنَّ المجتمعات والحضارات والدول لا تنهار من خارجها كما يشهد لذلك التاريخ، إنما يكون الانهيار من داخلها، وتفككها بانتشار القطيعة والتنافس والحِقد والحسد والبغضاء يُؤدي إلى زوال هذه المجتمعات مهما كان أمرها، ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

ومن فضائل هذه التحية أنها تُبذل على وجه التواضع للإخوان والآخرين، ولذلك ثبت عنه T سنة تسليم فقال T: «**يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ، وَالْمَارُّ عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ**»[٣].

فالسلام الذي هو أمانٌ بين النَّاس، ووسيلة نشر الحبِّ لدخول الجِنان، وباب تواضع بين المسلمين فهو يحقق وِلاية الله للعبد لقوله T: «**إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللهِ تَعَالَى مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ**»[٤]، هذا مع حصول الحسنات ففي «السنن» عن عِمران بن حُصَيْنٍ Z قال: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ T فقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُم، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ ثُمَّ جَلَسَ، فقَالَ النَّبيُّ T: «**عَشْرٌ**»، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُم

---

1 «مسلم»: ١/٧٤/ح١٢٨٥، ١/٧٥/ح١٢٨٦.

2 «البخاري»: ١/١٢/ح١٣، ١/١٩/ح٢٨. «مسلم»: ٢/٩/١٢٣.

3 «البخاري»: ٥/٢٣٠١/ح٦٢٣١. أطرافه ٦٢٣٢، ٦٢٣٣، ٦٢٣٤.

4 «سنن أبي داود»: ١٤/١٠٣/ح٥١٩٢.

وَرَحْمَةُ الله، فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، فقَالَ: «**عِشْرُونَ**»، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُم وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، فقَالَ: «**ثَلاَثُونَ**»[1].

فهذا الركن العظيم في بناء المجتمع المسلم الذي يحقق رضى الله تعالى، وهو صناعة باطن الإنسان المُسلم وتزكيته من خلال تزكية صِلاته اللفظية بينه وبين إخوانه، والسلام هذا شعارٌ، والشعارُ يعني أنَّ وراءه معاني وأعمال أُخرى هي من بابه، فأول ما تُفيد هذه التحية التي لا يتكلم المرء مع إخوانه كلمة قبلها، بل يبتدئ بها أنَّ المسلم حَسَنُ اللفظ، إذ بها يفتتح حسن الحديث، هذا مع ما يُرافقها من قوله T: «**تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ**»[2].

فإنَّ المرء لا يتصور منه أن يبدأ إخوانه باسم الله تعالى، وبتأمينهم وتواضعه لهم ثمَّ يخِيسُ ذلك كله فيما بعد، بلِ المرء إنْ كان مطلعه حسناً كان ما بعده حسن كذلك، ولذلك لما يقوم إنما يقوم بهذا الحسن الذي دخل فيه ـ أي بكلمة: «السلام عليكم».

ما يُقابل الأمان هو الخوف الذي يصنع القطيعة والتدابر والحذر المَرَضي المُفضي للقِتال والهُجران، ويُقابله كذلك الشك الذي يُؤدي إلى الفِتن وخَراب الأُمم.

هذه التحية العظيمة هي منهج حياة المسلم مع إخوانه إذ يندرج تحتها كذلك الصِدق في القول، وأمانة العهد، وحِفظ الحقوق، وصِيانة الأعراض، ورد العدوان عن الإخوان، ونُصرة المظلوم.

وهي شعار العلاقة بين المسلمين، فإن رفعها من أحدهم يعني موقفاً سلوكياً مُغايِّراً لما هو مطلوب، ولذلك قال أهل العلم: إن من هدي النبي T ترك

[1] «سنن أبي داود»: ١٤/١٠٢/ح٥١٩٠ . «سنن الترمذي»: ٧/٤٣١/ح٢٧٥٩ . وقال: هَذَا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ مِنْ هذا الوَجْهِ مِنْ حَدِيثِ عِمْرَانَ بنِ حُصَيْنٍ. «سنن الدارمي»: ٢/٢٧٧/ح٢٦٣٩ .

[2] «سنن الترمذي»: ٦/٦٣/ح١٩٦٣ . وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ

السلام ابتداءً ورداً على من أتى شراً وفساداً أو بدعةً أو حدثاً حتى يرجع عن ذلك، واستدلوا بما وقع منه T مع كعب بن مالك الأنصاري Z في حادثة المُخلَّفين، إذ كان كعب يسلم على النبي ويتعمد أن يصلي خلفه فلا يدري كعب هل حرك رسول الله T شفتيه برد السلام أم لا.

ولما كانت كذلك فإنَّ المُسلم لا يبتدئ الكافر بالسلام كما أمر بذلك رسول الله T بقوله: «**لا تَبْدَأُوهُمْ بالسَّلاَمِ**»[١]، وهذا قول أكثر أهل العلم، وقال آخرون إنما قال رسول الله T هذا وهو مُتوجهٌ إلى بني قريظة فقال لأصحابه ﭫ: «**لا تَبْدَأُوهُمْ بالسَّلاَمِ**»، وقد جاء في الحديث: «**لاَ تَبْدَءُوا الْيَهُودَ وَلاَ النَّصَارَى بِالسَّلاَمِ، فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوه إِلَى أَضْيَقِهِ**»[٢]. وهو لفظٌ عامٌ يُفِيدُ حُكْماً عاماً، والله أعلم.

هذه التحية وهذا الشعار ليس مِن نافلة القول الحديث عنه، لأنك ستجد من بني قومك ممن يزعمون الفقه والنظر لا يُقيمون لهذه الأمور شأناً بحجة أنها قُشور!، وأنها من زوائد الحياة لا مِن أُصولها، وللردِّ على هؤلاء يحتاج إلى فتح أبوابٍ كثيرةٍ لكن يكفي هؤلاء غلطاً أنهم جهلة في الدين وجهلة في الحياة وسننها، أما جهلهم في الدين فواضحٌ بيِّنٌ، وذلك بالمُقارنة بين ما يقولونه وما يقوله رسول الله T، وهم في هذا الجهل يغيب عنهم قيمة «الحسنة» التي هي مفتاح الجِنان، ولغياب هذه القيمة من قلوبهم فلو قيل لأحدهم: لك في هذه الكلمة عشر حسنات لَما نَشِطَ لهذا الفعل، والمسألة مسألة قلوب، وما تحب وما تكره، فإنَّ المرء يندفع إلى ما يحب ويرغب، وإلى ما يؤمن ويُصدق، أما جهلهم بالحياة وسننها فإنَّ أهم ما يجب على المرء أن يتعلمه في هذه الحياة هو كيفية حسن

[1] «سنن أبي داود»: ١٤/١١١/ح٥٢٠٠.
[2] «مسلم»: ١٤/١٢١/ح٥٦١٥.

التواصل مع الآخرين، ومما هو معلومٌ أنَّ هذا الفن هو باب كلِّ فُنون الحياة وأعمالها، واتقان المرء لهذا الفن هو مقياس نجاح المرء أو خسارته.

ثمَّ إنه مما يُعلم أنَّ البشر منذ أن عُرِفوا إلى يومنا وهم يبذلون في الحفاظ على كِيانهم ووُجُودهم الجهود الكثيرة ليتحقق لهذا الكيان والوجود التميُّز عنِ الآخرين، وإنَّ من أعظم ما يحقق هذا التميُّز هو لفظ التحية، ولذلك كانت كلمة «السلام عليكم» إعلان هُجرانٍ لمجتمع الجاهلية ودينها، وذلك من خلال هُجران تحية الجاهلية، وتمسك المسلم بهذه التحية هو إعلانُ تمسكِ المرء بمنهج، خاصة عند وجود الصراع بين المناهج، وعندما يُصبح وجود المسلم وهويته مُهددة من قبل الآخرين.

قد يقولون: هل هذا ما ينقص الأُمَّة؟ الجواب: إنَّ الأُمَّةَ قد تناثر أفرادها وتحطمت أوعيتها الجامعة، وتشوهت هويتها، ولذلك لا بدَّ من ترميم هذا كله من خلال هذا الإعلان التي يسمونها مظاهر والتي تُعَدُ كالصُّوى[1] التي يتجمع حولها أصحاب المبدأ الواحد.

إنَّ هؤلاء الذين يحقرون هذه الأمور هم أنفسهم يعبِّرون عن انحيازهم لثقافة الجاهلية المعاصرة وابتعادهم عن التخلف ـ كما يزعمون ـ من خلال مظاهر سلوكية ولَفظية، فإنَّ الأديب الكاتب المُثقف اليوم لا يتوانى في دسِّ المُصطلحات المُستوردة، أو كلمات الانحياز الجاهل في كلامه تعبيراً عن موقفٍ له، وعن دين يتبعه، وهو في هذا كذلك يُعْرِضُ بإرادةٍ مُسبقةٍ عن تحية الإسلام إن دخل أو خرج لأنه يعتبر أنَّ التمسك بها هو إعلان هويةٍ وتمسكٍ بطريقةٍ وانحيازٍ لدينٍ أو لثقافةٍ.

[1] الصُّوى: الأعلامُ، واحدها: صُوَّةٌ، وهي أَعلامٌ تُنْصَبُ في الطريقِ ليُهْتدى بها. «ذكر الفَرق بين الحروف الخمسة»: ص١٢٩. لابن السِّيْد البطلوسي.

إنك تستطيعُ أن تحكمَ على قلب المرءِ وعقله، وعلى منهجه ودينه من خِلال شعاراته السلوكية واللفظية، وهو كذلك يريد ذلك ويقصده، وأما مَن لا يُريد ولا يقصد فكفاه أن يُقال فيه أنه مغفلٌ سقط في خِداع الآخرين وصار جزءاً منهم وهو لا يشعر ولا يَدري.

الأُمَّة لا يمكن أن تنطلق إلى الآخرين إلاَّ بأمورٍ عِدَّةٍ أهمها قوة البناء الداخلي وثانيهما تميّز هذه الأُمَّة عنِ الآخرين، ذلك أنَّ الضعف الداخلي يعني جاهزية هذه الأمة للغزو والاستلاب، والتاريخ يُعلم العقلاء أنَّ الشعوب والحضارات لا تعرف السكون، وأنَّ التاريخ لا يعرف التعادل الساكن بلا صراعٍ بين القِوى، ولذلك فإنَّ الأُمَّةَ التي لا تذهب إلى الآخر هي أمة ستُسلب وفيها جاهزية السلب كذلك، وأنَّ خيرَ طريقةٍ لدفع هذا هو الانطلاق، أما الاستجابة التي وقعت في عقول المسلمين اليوم لدعوى السلام العالمي واحترام مبادئ العيش المُشترك أي التعادل الساكن فإنَّ هذا لا وجودَ له، ومَن آمن به ممن نفى جهادَ الطلب من المسلمين فإنَّ واجبَ الحياة يُعلمه أنَّ هذا التعادل لا يكون إلاَّ من خلال قُوة الدفع الداخلي للأُمم والشعوب ـ أي التنافس والحضور.

أما فُقدان التميُّز فقد ينشأ مِن فَقْرِ ثقافة هذه الأُمَّةِ من أن تملأ الحياة فيضطر المجتمع إلى استيراد دين وثقافة وحياة الآخر، وإما ينشأ من خلال شعور الهزيمة أمام الآخر، بسبب تقديسه أو تعظيمه، ولذلك فهذه التي يصر هؤلاء القوم على تسميتها قُشوراً أو مظاهر إنما أوصلهم لهذه الحالة هو فُقدانهم شعور الامتلاء الذي يحققه هذا الدين لأهله، وأنه دين يستوعبُ الحياة كلها صغيرها وكبيرها، وهم في تسمية هذا صغيراً لما يأتي من ديننا نراهم يتقفرون هذه المظاهر ويتقيدون بها على وجه التقديس، فهم لا يمكن أن يخرجوا للنَّاس بلا لباسٍ مُعينٍ أو هيئةٍ ما في لباسٍ أو سلوكٍ، فإن كانت هذه مظاهر وقُشور ـ كما يقولون ـ لما كان منهم هذا التقيد الذي هو أشد مُتابعة من مُتابعة المسلم لأوقات الصلاة.

لقد حرص الآخر على هذه «القشور» عندما حمل ثقافته إلينا، وفرضَ دينه على أُمتنا، فلا عجبَ أن يكون مُترافقاً مع تدريس هذه الثقافة وُجوب لباسٍ معينٍ يُلزم الطالب أن يتقيد به، وقد اقترن بهذا الإيجاب والإلزام في أذهان النَّاس نوع الثقافة مع صورة الهَدي الظاهر للإنسان.

«أفشوا السلام»

يعني بناء قاعدة المجتمع الصلب الذي يَطمئن أهله لبعضهم البعض، وهذه الكلمة يقولها القائد الذي تستقبله المدينة لتضع نفسها ومُقدراتها بين يديه فيسير بهم إلى مُهمات خيرِ أُمَّةٍ أُخرجتْ للنَّاس، وهذا يعني أنه في كلِّ ما يفعل ويقوله إنما هو سِلْمٌ لهم، وأمانٌ لحياتهم، فهو لا يدعوهم لهذا ثمَّ يسر مع الملأ الخاص به مكراً وخديعة وسلباً، بل هو أعظم وأولى من يشيع هذا السِّلم، فهو المحب لهم الرفيق بهم الحريص على أَمنهم وحياتهم وسعادتهم، وهذا المنهج النَّبوي في دعوة هذا المجتمع إلى السِّلم الداخلي للمجتمع المُؤمن هو على الضدِّ من مناهج الجاهلية الحاكمة والتي لا يدوم وجودها ولا يستقر حُكمها إلا باستثمار التناقضات والخُصومات بين هذا المجتمع، فهي لا تفتأ تُثير هذه الخُصومات واستثمارها من أجل فَرْضِ نفسها كحاجةٍ ضروريةٍ في ضبط الخُصوم وتحقيق مُعادلة التساوي بينهم، ولو أدركَ هؤلاء الخُصوم هذا لَسارعوا إلى نبذ هذه الخُصومات لمنع هذا المُستفيد من هذا الاستثمار، والحال في هذا كما كانت المدينة قبل مجيءِ الرسول T إليها، فقد كان هناك الأَوْس والخَزْرَج، وكانت بينهما خصومة وثأر يشعلها اليهود وأولياؤهم، ومن خلال هذه الحروب والخُصومات يتم النفاذ إلى مقاصدهم في هذا المجتمع، وهذا في زماننا اليوم سياسة عامة لطواغيت الكُفر الأصليين والمُرتدين، فما مِن بلدٍ إلاَّ وتجري عليه قاعدة إثارة التناقضات والخصومات حتى يتم تحصيل الهلكة والسيطرة عليهم.

ثمَّ إنَّ إفشاء السلام يقتضي المُقابلة والمحادثة مضادة للهجران والتدابر كما في الحديث: «**لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ. يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هذَا وَيُعْرِضُ هذَا. وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ**»[1]. وبهذه المُقابلة تزول الوحشة التي يصنعها البُعد، فإنْ اجتمع مع السلام المُصافحة كما هو حال أصحاب رسول الله T كما قال ذلك أنس في سؤال قتادة له: «أَكَانَتِ الْمُصَافَحَةُ فِى أَصْحَابِ النَّبِىِّ T؟ قَالَ: نَعَمْ»[2]، ولذلك قال عطاء الخراساني: «تَصَافَحُوا يَذْهَبِ الغِلُّ..» كما ذكر مالك في «الموطأ»[3]. وهذا الذي قاله عطاء مجربٌ فإنه قد يجري بين الإخوان بعض ما يغيِّر القلوب فما أن يُصافحه ويبتسم في وجهه حتى ذهب كله أو أكثره، وبهذا صار السلام وسيلة لفض الخصومات وإذهاب الشحناء من القلوب، فإنْ عجز المرء من لقاء أخيه والسلام عليه أرسل له السلام لدوام الود والحبِّ بينهما.

القطيعة والبُعد يعني أنَّ مجال استثمار الشيطان وجُنده قد فتح لينمو بينهما الشر ومقالة السوء ودساسي الشرِّ مِن الإنس خاصة، ومن نفس الإنسان كذلك بما يخيَّلُ له من الشرِّ ووسوسته الشيطان فيها.

هذا هو بعض جوانب الركن الأول في تمتين الصف الداخلي لأيِّ مجتمعٍ، وهو مع سهولته إلاَّ أنه عظيمُ الجانب، ومَن غفلَ عنه غفلَ عن أمرٍ عظيمٍ، ومَن تفكر فيه وما يقع له في الحياة من أُمورٍ وما يقع في المجتمعات لَعَلِمَ أنَّ هذا السلام هو أحد مُكونات وِراثة الأرض للإنسان، ولذلك كان مما عُلِّمه أبونا آدم عليه السلام في السماء قبل نُزوله إلى الأرض كما في الحديث أنَّ الله لما خلق آدم عليه السلام «..قَالَ: يَا آدَمِ اِذْهَبْ إِلَى أُولئِكَ النفَرِ، فَقُلْ لَهُمْ وَانْظُرْ مَا يَقُولُونَ، فَجَاءَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا: وَعَلَيْكَ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ الله، فَجَاءَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ: مَاذَا قَالُوا لَكَ؟ ـ

---

1 «البخاري»: ٥/٢٣٠٢/ح٦٢٣٧. وطرفه ٦٠٧٧. «مسلم»: ١٦/١٠٠/ح٦٤٨٤، واللفظ له.

2 «البخاري»: ٥/٢٣١١/ح٦٢٦٣.

3 «الموطأ»: ٤/٢٦٤/ح١٦٦١. رواه مالك مُرسلاً.

وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا قَالُوا لَهُ ـ قَالَ: يَا رَبُّ لَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِمْ قَالُوا: وَعَلَيْكَ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ الله، قَالَ: يَا آدَمُ هَذِهِ تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ»[1]. فهذا هو أحدُ مُقومات وراثة الأرض والقيام فيها كما يحب الله لآدم وذريته. وهذا في الأحاديث الواردة في هذا الباب كُتُبٌ كثيرة، وكذلك في مسائله فليَرجع إليها المُهتدي ليتعلمَ فقه هذه الشعيرة.

«أطعموا الطعام»

هذا هو الركن الثاني بعد البناء النفسي الأول مِن استقرارٍ وأمانٍ وراحةٍ بين أفراد المجتمع بما يحققه السلام، وهو تحقق البذل والعطاء بما يصنعان من أمانٍ اقتصاديٍّ وتكافُلٍ اجتماعيٍّ، وهذان الأمران هما أفضل الإسلام وخيره كما تقدم.

فإنَّ المجتمع المؤمن بالله تعالى لا يحصل له البقاء والدوام، ولا يحصل له الاستقرار والنمو إلاَّ من خلال البذل والعطاء بين أفراده، فإنَّ أساس الخُصومات ودمار المُجتمعات وانتشارِ البُغض ثمَّ الاقتتال إنما هو شعور المجْروحين بظلمِ أصحاب القَدرة والغِنى، فإنَّ المرءَ لا ينزع لخصومةٍ ضدَّ آخرٍ إلاَّ لهذا الشعور، أي الظلم، والإحسان والعَطاء وكما أنَ الصدقة تُطفئ غضبَ الله كما في الحديث: «**إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِيءُ غَضَبَ الرَّبِّ وتَدْفَعُ مِيتَة السُّوءِ**»[2]. فإنها هي كذلك تُؤدي إلى إطفاء غضب النفس البشرية ضدَّ خُصومها، لأنَّ النفوس تميل إلى حبِّ المحسنين، وتركن إلى دِعة من يمولونهم، وهي تبغض وتنقم مَن يمنعها حاجتها، وتكيد له، فأساس استقرار المجتمعات وتقويتها هو أن يعلمَ الغني أنَّ للفقير حقاً

[1] «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد»: ٨/٣٦٣/ح١٣٧٤٧. رواه أبو يعلى، وفيه: إسماعيل بن رافع. قال البخاري: ثقة مقارب الحديث، وضعفه الجمهور، وبقية رجاله رجال الصحيح.

[2] «سنن الترمذي»: ٣/٢٨٣/ح٦٥٧. وقال: هذا حديثٌ حسن غريبٌ مِنْ هذا الوجْهِ.

في ماله، فهو لا يُؤدي إليه ما يُؤدي على وجه الاستكبار أو الترفع، بل هو يُؤدي إليه حقه الذي فرضه الله عليه، وهذه القضية، وهي إزالة أسباب الخصومة عن طريق التكافل في المجتمع الواحد مما يعمل الشياطين وجُنودهم على منعها، لأنه كما تقدم أنَّ الخصومات والتناقضات هي سبيلهم في إمرار مشاريعهم وإرادتهم في المجتمعات.

وبالتفكر في المجتمع المدني الذي أقامه رسول الله T نجدْ هذه الخِصلة سارية فيهم، ولا يستنكفون أن يدعو إلى بيوتهم على قليل الشيء مما يملكونه كما كان هذا سمت النبي T فعن جابر Z قال: «كُنْتُ جَالِساً فِي دَارِي. فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللهِ T. فَأَشَارَ إِلَيَّ. فَقُمْتُ إِلَيْهِ. فَأَخَذَ بِيَدِي. فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَى بَعْضَ حُجَرِ نِسَائِهِ. فَدَخَلَ. ثُمَّ أَذِنَ لِي. فَدَخَلْتُ الْحِجَابَ عَلَيْهَا. فَقَالَ «**هَلْ مِنْ غَدَاءٍ؟**» فَقَالُوا: نَعَمْ. فَأُتِيَ بِثَلاَثَةِ أَقْرِصَةٍ. فَوُضِعْنَ عَلَى نَبِيٍّ - وهو طبقٌ من خُص -. فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ T قُرْصاً فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ. وَأَخَذَ قُرْصاً آخَرَ فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيَّ. ثُمَّ أَخَذَ الثَّالِثَ فَكَسَرَهُ بِاثْنَيْنِ. فَجَعَلَ نِصْفَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَنِصْفَهُ بَيْنَ يَدَيَّ. ثُمَّ قَالَ «**هَلْ مِنْ أُدُمٍ؟**» قَالُوا: لاَ. إِلاَّ شَيْءٌ مِنْ خَلٍ. قَالَ «**هَاتُوهُ. فَنِعْمَ الأُدُمُ هُوَ**»[1].

وهذه، أي «إطعام الطعام» هي سيرة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، فإن الكرم في العربي إنما سرى فيهم من خِصاله وخصال ابنه إسماعيل عليه السلام، وقد ذكر الله عنه هذه الخصلة، وهي طريقة قِيامه بحق أضيافه من الملائكة قبل أن يعلم شأنهم كما قال تعالى في سورة «الذاريات»: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الذاريات: ٢٤ - ٢٧]. وقد ذكر العلامة ابن القيِّم فوائد عديدة في هذه الآيات في باب الضيافة والكرم فلتُراجع[2]، ولكن أهم

---

1 «مسلم»: ١٤/٨/ح٥٣١١.

2 انظر: «التفسير القيِّم» لابن القيِّم: ص٣٦٦-٣٦٧. و«جلاء الأفهام»: ص١٨١- ١٨٤.

ما فيها في بابنا هذا هو تقديمه خير ما يقدم وهو العجل السمين، فإنَّ العجل السمين أطيب لحماً لصغره، وأكثر لحماً لسمنه، وقد قدمه إليهم حنيذاً كما في سورة «هود»، أي مشوي، وهو أطيبه لهم، هذا مع أنهم غُرباء عنه، والمرء لا يخاف عيبَ الغريب المار بخلافِ المُقيم، ومع ذلك قدَّم لهم خيرَ ما يملك، بل وقام على خِدمتهم بنفسه وهو نبي الله وخليله.

وأما ما ورد عنِ الصَّحابة في هذا فشيءٌ كثيرٌ ومنه ما رواه الطبراني في «الأوسط» بسند جيد كما قال الهيثمي عن أنس Z قال: «دَخَلَ عَلَيْهِ قَوْمٌ يَعُودُونَهُ فِي مَرَضٍ لَهُ، فَقَالَ: يَا جَارِيَةُ هَلُمِّي لأَصْحَابِنَا وَلَوْ كِسَراً، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ T يَقُولُ: «**مَكَارِمُ الأَخْلاَقِ مِنْ أَعْمَالِ الْجَنَّةِ**».

وفي «الأدب المفرد»[1] أنَّ علياً Z قال: «لأَنْ أَجْمَعَ نَفَراً مِنْ إخْوَانِي عَلَى صَاعٍ، أَوْ صَاعَيْنِ مِنْ طَعَامٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَخْرُجَ إِلَى سُوقِكُمْ فَأَعْتِقَ رَقَبَةً»

وأكثر ما يميِّز إنفاق الصحابة رضوان الله عليهم أنهم لا يمتنعون مِن القليل فقد أخرج البخاري[2] عن أبي هريرة Z قال: «..وَكَانَ أَخْيَرَ النَّاسِ لِلْمَسَاكِين جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، كانَ يَنْقَلِبُ بِنَا فَيُطْعِمُنَا مَا كَانَ في بَيْتِهِ، حَتَّى إِنْ كانَ لَيُخْرِجُ إِلَيْنَا الْعُكَّةَ ـ أي آنية السمن ـ التِي لَيْسَ فَيهَا شَيْءٌ، فَيَشُقُّهَا فَنَلْعَقُ مَا فِيهَا».

وعند ابن سعد عن عُروة عن أبيه ـ أي الزُبير ـ قال: «أدركتُ سعد بن عُبادة وهو يُنادي على أُطمه ـ أي بيته ـ مَن أحبَّ شحماً أو لحماً فليأتِ سعد بن عُبادة، ثم أدركتُ ابنه مثل ذلك يدعو به»[3].

[1] «الأدب المُفرد» للبخاري: ص١٧٢ .

[2] «البخاري»: ١٣٥٩/٣/ح٣٦٢٦ . وهو أيضاً عند ابن سعد في «الطبقات الكبرى»: الطبقة الثانية من المهاجرين.

[3] «الطبقات الكُبرى» لابن سعد: طبقات البدريين من الأنصار، فصل: ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج رجلان.

وعنده كذلك عن الحسن بن حكيم عن أمه أنها كانت لأبي بَرْزة Z جَفْنة من ثريد غدوة وجفنة عشية للأرامل واليتامى والمساكين.[١].

فلا خير في مجتمعٍ وأُمَّةٍ تحبس فُضُولَ أموالها عنِ المُحتاجين، وهي إنْ فعلتْ ذلك إنما تجرُّ على نفسها الخَراب كما قال رسول الله T لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها: «..**وَلاَ تُوكِي فَيُوكِيَ اللهُ عَلَيْكِ**»[٢]، فإنَّ منعَ المال وإنْ أدى إلى تجميعه في الحال إلاَّ أنَّ عاقبته الزوال في المآل، ولذلك كانت أسماء من أجود النَّاس كأختها الصديقة عائشة كما في «الأدب المفرد»[٣] عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: «ما رأيتُ امرأتين أجود من عائشة وأسماء، وجودهما مختلف، أما عائشة فكانت تجمع الشيء إلى الشيء حتى إذا كان اجتمع عندها قسمت، وأما أسماء فكانت لا تمسك شيئاً لغدٍ».

ومما ذُكر عن خِصال أمير المؤمنين عمر الفاروق Z في هذا ما رواه عُمير بن سلمة الدُؤلي Z قال: بَيْنَا عُمَرُ Z نِصْفَ النَّهَار قَائِلٌ في ظِلِّ شَجَرَةٍ، وَإِذَا أَعْرَابِيَّةٌ، فَتَوَسَمَتِ النَّاسَ، فَجَاءَتْهُ، فقالتْ: إِنِّي امْرَأَةٌ مِسْكِينَةٌ، وَلِي بَنُونَ، وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بن الخَطاب كَانَ بَعَثَ مُحَمَّدَ بنَ مَسْلَمَةَ سَاعِياً، فَلَمْ يُعْطِنَا، فَلَعَلَّكَ يَرْحَمُكَ الله أَنْ تَشْفَعَ لَنَا إِلَيْهِ، قَالَ: فَصَاحَ بِيَرْفَأَ ـ خادمه ـ: أَنْ ادْعُ لِي محمَّد بْنَ مَسْلَمَة، فقالتْ: إنَّه أنجح لحاجَتِي أَنْ تَقُومَ مَعِي إِلَيْهِ، فَقَالَ: إِنَّهُ سَيَفْعَلُ إِنْ شَاءَ الله. فَجَاءَهُ يَرْفَأُ فقال: أَجِبْ، فَجَاءَ، فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَاسْتَحْيَتِ المرأَةُ، فَقَالَ عُمَر: مَا آلُو ـ أي لا أُقَصِر ـ أَنْ أَخْتَارَ خِيَارَكُمْ، كَيْفَ أَنْتَ قَائِلٌ إِذَا سَأَلَكَ الله تَعَالَى عَنْ هِذِه؟ فَدَمَعَتْ عَيْنَا مُحمَّدٍ.

[1] «الطبقات الكُبرى» لابن سعد: الطبقات الثانية من المهاجرين.

[2] «سنن النسائي الكبرى»: ٢/٣٨/ح٢٣٣٢، ٥/٣٧٩/ح٩١٠٣. «سنن النسائي الصغرى»: ٥/٧٧/ح٢٥٥٢.

[3] «الأدب المُفرد» للبخاري: ص٩٢.

ثُمَّ قالَ عُمَر: إنَّ اللهَ بَعَثَ نَبِيَّهُ T، فَصَدَّقْنَاهُ، وَاتَّبَعْنَاهُ، فَعَمِلَ بِمَا أَمَرَهُ اللهُ بِهِ، فَجَعَلَ الصَّدَقَةَ لأَهْلِهَا مِنَ المَسَاكِينِ، حَتَّى قَبَضَهُ اللهُ عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ اسْتَخْلَفَ اللهُ أَبَا بَكْرٍ، فَعَمِلَ بِسُنَّتِهِ حَتَّى قَبَضَهُ اللهُ، ثُمَّ اسْتَخْلَفَنِي فَلَمْ آلُ أَنْ أَخْتَارَ خِيَارَكُمْ، إِنْ بَعَثْتُكَ فَأَدِّ إِلَيْهَا صَدَقَةَ العَامِ، وَعَامٍ أَوَّلَ، وَمَا أَدْرِي لَعَلِّي أَبْعَثُكَ، ثُمَّ دَعَا لَهَا بِجَمَلٍ فَأَعْطَاهَا دَقِيقاً وَزَيْتاً، وَقَالَ: خُذِي هَذَا حَتَّى تَلْحَقِينَا بِخَيْبَرَ، فَإِنَّا نُرِيدُهَا، فَأَتَتْهُ بِخَيْبَرَ، فَدَعَا لَهَا بِجَمَلَيْنِ آخَرَيْنِ، وقال: خُذِي هَذَا، فَإِنَّ فِيهِ بَلاَغاً حَتَّى يَأْتِيكُمْ مُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمَة، فَقَدْ أَمَرْتُهُ أَنْ يُعْطِيكِ حَقَّكِ لِلْعَامِ وَعامٍ أَوَّل»[1].

وعند البخاري[2] قصةٌ أخرى شبيهة فعن أسلم عن أبيه قال: «خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ Z إلى السُّوقِ، فَلَحِقَتْ عُمَرَ امْرَأَةٌ شَابَّةٌ فَقَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَلَكَ زَوْجِي، وَتَرَكَ صِبْيَةً صِغَاراً، وَاللهِ مَا يُنْضِجُونَ كُرَاعاً ـ أي لا يملكون يد شاة ـ، وَلاَ لَهُمْ زَرْعٌ وَلاَ ضَرْعٌ، وَخَشِيتُ أَنْ يَأْكُلَهُمُ الضَّبُعُ ـ وهو الحيوان المعروف لكن مقصودها الجوع والجدب ـ، وَأَنَا بِنْتُ خُفَافِ بنِ إِيمَاءَ الْغِفَارِي، وَقَدْ شَهِدَ أَبِي الْحُدَيْبِيَّةَ مَعَ النَّبِي T، فَوَقَفَ مَعَهَا عُمَرُ Z وَلَمْ يَمْضِ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَباً بِنَسَبٍ قَرِيبٍ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلى بَعِيرٍ ظَهِيرٍ ـ أي قوي ـ كَانَ مَرْبُوطاً فِي الدَّارِ، فَحَمَّلَ عَلَيْهِ غِرَارَتَيْنِ مَلأَهُمَا طَعَاماً، وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا نَفَقَةً وَثِيَاباً، ثُمَّ نَاوَلَهَا بِخِطَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: اقْتَادِيهِ، فَلَنْ يَفْنى حَتى يَأْتِيَكُمُ اللهُ بِخَيْرٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَكْثَرْتَ لَهَا!!، فَقَالَ عُمَرُ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ!!، شَهِدَ أَبُوهَا الْحُدَيْبِية مَعَ النَّبِي T، وَاللهِ إِني لأَرَى أَبَا هذِهِ وَأَخَاهَا قَدْ حَاصَرَا حِصْناً زَمَاناً فَافْتَتَحْنَاهُ، ثُمَّ أَصْبَحْنَا نَسْتَفِيءُ سُهْمَانَهُمَا فِيهِ».

فهذه خِصلة المؤمنين البارزة فيهم، وهي السارية فيما بينهم، إذِ الكرم هو سِمتهم، فلا يبخلون، بل يكرمون ثقةً بالله تعالى وبوعده.

[1] كتاب «الأموال» لأبي عُبيد القاسم بن سلام: ص٦٠٨.

[2] «البخاري»: ٤/١٥٢٧/ح٤٠٧٠.

واعلم أنَّ الجوع يقتل الفضائل، ويهين النفوس، إذ أنه أول ما ينشر في النفوس الهَوان، لأنه يدفع للسؤال ومن مدَّ يده للنَّاس ذهب من كرامة نفسه الكثير، ولذلك جاء في الحديث: «**لاَ تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللهَ، وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ**»[1]،

وقد عُلِمَ مِن كلام الحُكماء قصة مَفادها أن غازياً حاصر مدينة، فأشار عليه بعض خاصته أن يحاصرها حتى يجوع أهلها فتضعف وقال له دعني أتخفى وأدخل عليها فأرى حال أهلها، فأذن له ففعل، فدخل حتى أتى صاحب متجر فسأله شيئاً يشتريه، فأعطاه إيَّاه واشتراه، ثم سأله حاجة أُخرى فطلب من التاجر أن يذهب إلى جاره ليشتري منه هذا الشيء وقال له: لينتفع جاري منك كما انتفعت، فلما رأى هذا الناصح رجع للملك وأخبره أنَّ هذه القرية عصية عليه بما فيها من قوة، وسأله أن يحاصرها حتى تجوع، ففعل، فلما مضى زمنٌ طويلٌ جاع فيه أهلها، ذهب هذا الناصح ودخل القرية وأتى صاحب المتجر واشترى منه شيئاً، ثم سأله شيئاً آخر فقدمه وآخر وآخر ولم يرَ منه ما رأى سابقاً، فقال له: هلا ذهبتُ إلى جارك لأشتري منه؟ فقال له التاجر: لا تفعل، وجعل يذم جاره ليصرفه عنه، فعَلِمَ هذا الناصح أنَّ الفقر قد قتل فضائل هذه القرية، وبهذا صار أمر هزيمتها سهل ميسور، وهذه سياسةٌ متبعةٌ إلى يومنا هذا مِن قِبَلِ الغُزاة والمجرمين، فإنهم بنشر الجوع والفاقة في الشعوب يسهلون انتشار قِيَّم الجاهلية حيث تنتشر السرقة والخيانة والكذب، وينتشر الزنا وبيع الأعراض، وبيع الذمم، كما يسهل بالجوع التقاط الساقطين في أيدي الملأ أو الغُزاة والمجرمين، ولذلك قال أحد هؤلاء الطواغيت ـ وهو وزير داخلية إحدى نظم الردة ـ: «إننا سنجيع هؤلاء «المُتعصبين» حتى تبيعَ نساؤهم أعراضهن!!»، والمرأة بالجوع يهون

1 «مسلم»: ٧/١١٠/ح٢٣٤٩.

عليها عِرضها حتى لو كانت في أصلها تقية صالحة كما جاء في حديث الثلاثة[1] الذين آواهم المَبيت إلى الغار، فإنَّ أحدهم ذكر قصة ابنة عمه، وكيف رضِيَتْ الفاحشة تحت وطأةِ الجوع، فبذل الطعام إنما هو تحصين للنفوس من الانزلاق في سبيل الشيطان وجُنده.

ومما ينبغي نشره وتعليمه أنه مِن حقِّ الفقراء أن يُقاتلوا الأغنياء المُترفين إذا منعوهم حقَّ مالهم من الزكاة، فإذا جاز أخذ أموالهم على وجه المُقاتلة فإنَّ أخذه على وجه الحيلة والمكر أوضح جوازاً، ثم يزداد الأمر إباحة وحِلاً إذا كان هؤلاء الأغنياء المُترفين المُعوزين في أمتنا بالمكر والقتل والحيلة في أخذ حقوقهم من الأغنياء المجرمين، وخاصة أن واقع الحال يبيِّن أنَّ غنى هؤلاء القوم إنما هو من السرقة ونهب أموال الأُمَّة، بل وإنَّ بعضهم غِناه إنما هو من دماء هؤلاء الفقراء، وبعضهم لم يكن له بعض غِنى إلاَّ وبيبع الأُمَّة ودينها ومُقدراتها، ولو فَقِهَ أهل الإسلام هذا الأمر لما كان رِزقهم إلاَّ من يد هؤلاء المُجرمين ومؤسساتهم المُحارِبة لله ولرسوله وللمؤمنين، وقد يقول معترضٌ: لكن هذا يُؤدي إلى فسادٍ من جهات أولها: انتشار هذه الأعمال التي تُسمى بالسرقة والسطو حتى إنه سيقوم بها العُصاة والمجرمون، وليس المؤمنون فقط ممن يقوم بها على وجه الحُكْمِ الشرعي، ثم إنها أعمالٌ تجر مفاسد على أصحابها بالسجنِ وغيره، وللجواب على هذا يقال: أما انتشار هذه الأعمال فليس صحيحاً، بل هو تقليلٌ لشرِّ هؤلاء المجرمين، فإنَّ أخذَ الأموالِ منهم إنما يمنع الكثير من جرائمهم، وأما خوف انتشارها فإنها في الواقع مُنتشرة لكنها محمية بالقوانين والدولة والشرطة، فإن هؤلاء الملأ المجرمين يسرقون الملايين ويُدمرون البلاد والعِباد، أما مفسدة السجن فإنَّ تقدير هذا يرجع للمرء، فإنَّ البعض يقبل أن يُسجن ولا يجوع، بل ربما يُسجن ليُغنى أهله حتى لا يقع فيهمُ الشر، ولذلك يُترك تقدير هذا إلى المرء

[1] انظره عند: «البخاري»: ٢/٧٩٣/ح٢٢٣٨، و«مسلم»: ١٧/٢٥/ح٦٩٠٠.

وعقله، بل يُقال للمعترضين: لا تخافوا فإنَّ هذه الفتاوى الحق لا يقوم لها إلاَّ القليل من الرجال، وأما الباقي وهمُ الأكثر فقد استمرأ الذلة وعيش المَهانة وبيع النفس من أجل الفُتات.

لكن لو تفكر النَّاس بهذا ما لو انتشر وشاع لكان فيه قطعٌ لهؤلاء المجرمين وإذهابُ شرهم، فإما أن يُغيِّروا جهلهم وإما أن يرحلوا، فالمفسدة العظيمة ليست بأخذِ سُبل الحقِّ، لكن المفسدة هي إعراضِ النَّاس عن هذه السُبل، وسُكوتهم عن المجرمين واللصوص الحقيقيين والملأ المُترف والسُفهاء مِن عِلْيَةِ القوم، فلا تكون التهمة لمن أخذ بالحق فأُوذي، لكنَّ العيب والتهمة لمن استكانَ وسكتَ وذلَّ وقَبِلَ الهَوان، وهذه المسألة كمسألة جهاد الطواغيت والمحتلين، فإنَّ البعض يسبُّ على المجاهدين إنْ قاموا ضِدَّهم بحجة ما يترتب على ذلك من مفاسد، والحقُّ أنَّ هؤلاء لو فقِهُوا دين الله تعالى لَكان عيبهم وسبهم مُوجهاً ضدَّ السالكين أو الداخلين في دينهم، لأنَّ وجود هؤلاء الساكتين والمُوالين للمجرمين هو سبب المفاسد والطامات، إذ لو الْتَحَقَ هؤلاء بالمجاهدين لَتحققَ النَّصر سريعاً، لكن وُجودهم هو مَن عَوَقَ تحقيق مقاصد المجاهدين، فبدل أنْ ينفِرَ الجميع مع المجاهدين ذهب هؤلاء الفقهاء الجُدد يدعون المجاهدين للحوق بالساكتين أو الداخلين في دين المُشركين والطواغيت.

وهذا الفقه وهو أخذ الحقوق التي حلَّت للمرء على جهة الشرع هو أحد مفاصل الفُروق بين مذاهب البشر المادية وبين دين الله تعالى، فإنَّ الشرع يُوجِب من الحقوق وسبل التملك ما يُنكره مُنْكِرُو الأديان، وذلك مثل الغنيمة والفيء، ولما انتشر في النَّاس مذاهب الكفار صار الحديث عنِ التملك الشرعي مُسْتَهْجَناً، فعموم النَّاس اليوم من المسلمين لا يتصورون تملك الأبضاع عن طريق الغنيمة كما قال الله لرسوله T: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ﴾ [الأحزاب: ٥٠]. ولو مرَّ أحدهم على هذا الفقه في مظانه لَتعجبَ

واستغربَ، والمؤمن عليه أن يعلم أنَّ حِلَّ الشيء لا يكون بالتواضع؛ أي بما استقرتْ عليه أعراف النَّاس أو بما يجري على معنى الرضى منهم، بل إنَّ الشيء في ديننا لا يحل إلى على جهة الشرع كما قال رسول الله T عن النساء: «..**وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ**..»[1]، فما حلَّت امرأةٌ لرجلٍ بالاتفاق بينهما، ولا بما استقر به العُرف، بل إنما تَحِلُّ بكلمة الله؛ أي بشرعه ودينه، وكذلك الأموال، فإنها لا تَحِلُّ بالرضى، إنما تَحِلُّ بالشرع، والشرع هو مَن أوجبَ الرضى في بعض صُور التملك، ومما يدل على هذا أنَّ الوصية لا تجوز لوارث، مع أن الرضى واقعٌ في هذا، لكن الشرع لم يقبل هذا الرضى ولم يعتبره بل أبطله.

فالقصد أنَّ المؤمن يأكل ويشرب ويملك بما حلَّ له من كلمة الله، فإن اشترطت هذه الكلمة رضى صاحب المال كان هذا المال حراماً إلاَّ بهذا الشرط كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [البقرة: ١٨٨]، وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ﴾ [النساء: ١٩]. لكن للأب أن يأكلَ مِن مال ابنه بغير رِضاه، وللضيف حقٌّ في مال مضيفه على وجه الوُجوب على وجهٍ مخصوصٍ، وللفقير حقٌّ في مال الغني كحقِّ الدائن بل أشد، فإنْ منع الغني هذا الحقَّ جازَ للفقير أن يأخذه بأي وجهٍ يستطيعه وبغير رضى المانع، والحجة في هذا حديث هند بنت عُتبة رضي الله عنهما لما سألت رسول الله T عن حقها في مال أبي سفيان وقالت: «إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ، وَلَيْسَ يُعْطِينِي مَا يَكْفِينِي وَوَلَدِي، إِلاَّ مَا أَخَذْتُ مِنْهُ وَهْوَ لاَ يَعْلَمُ فَقَالَ: «**خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بِالْمَعْرُوفِ**»[2].

---

[1] «مسلم»: ١٣٥/٨/ح٢٩٠٣.

[2] «البخاري»: ٢٠٥٢/٥/ح٥٣٦٤. أطرافه ٢٢١١، ٢٤٦٠، ٣٨٢٥، ٥٣٥٩، ٥٣٧٠، ٦٦٤١، ٧١٦١، ٧١٨٠. «مسلم»: ٧/١٢/ح٤٤٣١.

هذا كله إنْ كان مال الغني قد ملكه على وجهٍ مشروعٍ، ولهذا إنْ منع الغني زكاة المال قُوتِلَ على ذلك، بل إنَّ بعض أهل العلم، وهو قول في مذهب أحمد، يقولون إنه يُقاتل على الكُفر إن منعها، وهم لا يقولون هذا في منع حق الدائن، فدلَّ على أن منع الزكاة أشد في دين الله تعالى من منع الدين وحقوق المُعاوضة.

أما إن كان هذا الغني قد ملكَ المال على وجهٍ محرم كالخِداع والغصب والسرقة والحيلة، فإنَّ الواجب منعه من الانتفاع به، وإنما يُؤخذ منه ليؤدَى إلى أهله، فإنْ كان من حقوق العامة جاز للنَّاس الانتفاع به بمقدار حاجتهم ثم يُوصلونه لغيرهم بمقدار الكِفاية ولا يزيدون حتى يؤدَى إلى أكبر عددٍ من هؤلاء النَّاس.

فإن كان هذا الغني سفيهاً يُبذر ماله ويُنفقه على وجه السُفه مُنِعَ منه، وحِيلَ بينه وبين إتلافه، فإن كان إتلافه على وجه المعصية اشتدَّ وجوب هذا المنع وصار ألزم.

واليوم إنما تقوم أنظمة الردة والفساد على حماية كلِّ هؤلاء المجرمين المُترفين، بل إنما هذه الأنظمة هي هم هؤلاء، يمنعون حقوق النَّاس، ويسلبون مُقدرات الأُمَّة التي أجاعوها، وهم يُنفقون ملايين الملايين لأعداء الأُمَّة، ويُضيِّعُون هذه الأموال في مصارف هؤلاء الأعداء، كما أنهم يُنفقونها في صفقات هي أشبه بحيلة السرقة والمكر والخِداع، كل ذلك وغيره من صُور الإجرام ثمَّ تجد في أُمتنا الفقر والفاقة والحاجة الشديدة، هذا وقد ضُيِّقَتْ عليهم سُبل الحياة وكسبِ الحلال، ولا يصل للكفاية إلاَّ مَن ملتاك قريب بالملأ، إذ يسرفون عليه من العطايا والأموال، وأما الكادح الجاد فبالكاد يقوم على كفاية شؤون حياته وشؤون أسرته، فلا تعرف سعة المال والحياة، ولا تعرف راحة الكسب السهل إلاَّ من خلال اللصوص الكبار وعبيدهم وأهلهم، وبقية النَّاس في كدحٍ شديدٍ من أجل لُقمة العيش والكِفاية، وهذا كله من عذاب الله تعالى المُسلط على هذه الأُمَّةِ

وسُكُوتِها عنِ الظُلم، فالفقراء في هذا هُم مجرمون لقبولهم الهَوان والذلة، ولسكوتهم عن مُقاتلة المجرمين الذين يسلبونهم حقوقهم، ولذلك من مُوجبات الجهاد اليوم ضدَّ المُرتدين وجنودهم وأعوانهم هذا الباب الذي يجرُّ على الأُمم المفاسد العظيمة ما لو استقر وبقي.

إنَّ المدنية المُؤمنة هي تلك المدنية التي يبذلُ أهلها لبعضهم البعض الطعام، وتحت هذا العنوان النَّبوي معاني عظيمة تتعلَّق بمنهج الإحسان والبذل والحب والرِفق والقُرْبِ، فبالذل يقتل الشح، وبذهاب الشح تزول البغضاء، ويحل الحب والرِفق، وما مُنِعَ الربا إلاَّ لهذا الوجه من المعاني كما قال تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ [البقرة: ٢٨٠]. وللمسلمين قُدوة بالذاهبين مِن السابقين في هذا الباب العظيم في بابِ الكَرم، وهي الصفة التي تكاد تتلاشى في زماننا، إذِ الحبس والمنع صار يمدح، وأما المُنفق الكريم فمستهجنٌ غريبٌ، ولولا بقية من رجال ونساء في هذا الباب ممن يقومون على حاجات النَّاس لكان حال الأُمَّة بسبب الفقر شرّ حالٍ، هذا مع ما يرون من عَلْيَةِ القوم وأبناء المُلوك وكبار الضباط والاقطاعيين يخوضون في مال الأُمة بلا حسيبٍ ولا رقيبٍ.



موعظة

تمارَى ثلاثة في أجواد الإسلام، فقال أحدهم: أسخاهم عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.

وقال الآخر: بل عَرَابة الأوسي.

وقال الثالث: بل قيس بن سعد بن عُبادة.

فكثر الجِدال، وعلا الضجيج وهم بفَناء الكعبة.

فقال لهم رجب: قد أكثرتمُ الجِدال، فما عليكم أن يمضي كل واحدٍ منكم إلى صاحبه يسأله حتى ننظر ما يُعطيه.

فقام كل واحدٍ إلى صاحبه.

فأما صاحب عبد الله فصادفه قد وضع رجله في غرز ناقته يُريد صنيعة له، فقال له: يا بن عم رسول الله!

قال عبد الله: قل ما تشاء.

قال: أنا ابن سبيل ومنقطعٌ به. فأخرج رجله من غرز الناقة وقال له: ضَعْ رجلك، واستوِ على الراحلة، وخُذْ ما في الحقيبة، واحتفظ بالسيف، فإنه من سيوف علي بن أبي طالب.

فجاد بالناقة، والحقيبة فيها مطارف خزٍ[1]، وأربعة آلاف دينار وأعظمها وأجلها السيف.

[1] المطارف: أكسية خز لها أعلام، واحدها مطرف بكسر الميم وفتحها وضمها.

ومضى صاحب قيس بن سعد، فصادفه نائماً. فقالتِ الجارية: هو نائمٌ، فما حاجتكَ إليه؟

قال: ابن سبيل ومنقطعٌ به.

قالت: حاجتكَ أهون من إيقاظه! هذا كيسٌ فيه سبعمائة دينار، والله يعلم أن ما في دار قيس غيره، خُذْهُ وامضِ إلى مَعَاطِنِ الإبل إلى أموال لنا بعلامتنا فخذ راحلة من رواحله وما يصلحها وعبداً، وامضِ لشأنك.

ولما انتبه قيس من رُقدته أخبرته بما صنعت فأعتقها.

ومضى صاحب عَرَابة الأوسي إليه، فألفاه قد خرج من منزله يُريد الصلاة، وهو يمشي على عبدين، وقد كفَّ بصره، فقال: يا عَرابة، ابن سبيل ومنقطعٌ به.

فخلى عَرَابة العبدين، وصفق بيُمناه على يُسراه، وقال: أواه!! أواه!! ما تركتِ الحقوق لعَرابة مالاً، ولكن خُذْهُما.

قال الرجل: ما كنت بالذي أقص جناحيك.

قال عَرابة: إن لم تأخذهما فهما حُرَان، فإن شئتَ تأخذْ، وإن شئتَ تعتقْ. وأقبل يلتمس الحائط راجعاً إلى منزله.

فأخذهما صاحبه، وجاء بهما إلى رِفاقه.

فقالوا: هؤلاء أجود عصرهم إلاَّ أن عَرابة أكثرهم جُوداً لأنه أعطى جُهْدَهُ.

قال الشماخ:ـ

رأيت عَرَابة الأوسي يسمو ... إلى الخيرات منقطع القرين
إذا ما راية رفعت لجد ... تلقاها عَرَابة باليمين

«وصَلوا بالليل والنّاس نِيام»

هذه مَنْقَبَة وخِصلة وشعار الصالحين، وهي سِمَّةُ مدينة المؤمنين التي ترث المُدن، وعلا منها حين تستحق أن تأكل غيرها، وهي سِمَّةٌ لا تكون إلاَّ لمدينة الإيمان، ولا يقوم لها إلاَّ أتباع الأنبياء، ولا ينشط لها إلاَّ مَن مايز بين صناعة الإنسان على وجه الكفر بالآخرة وعدم اعتبارها في هذه الحياة وبين مَن عَلِمَ أنَّ صناعة الإنسان ليكون ربانياً هو الوِراثة الحقيقية للأرض، ولقد تماهَى أهل عصرنا من المُفكرين المسلمين في فهمهم للحياة وسُننها وشروط بقاء الأُمم فيها على فَهْمِ الكافرين، فلم يَعُدْ هناك خصوصية لبناء الإسلام للحياة والإنسان والدول والمجتمعات، فما الإسلام عند هؤلاء إلاَّ ظِلٌّ لمفاهيم الجاهلية في البناء والتحليل والتقويم، فهم يرطنون رَطانتهم، ويشمخون بأنوفهم حين تتلوى ألسنتهم بكلماتهم وكلمات دهاقِنَتَهُم، ويخجلون بحياءٍ نِفاقيٍّ أن يُشِيرُوا لمفهوم العبودية في قِوامة هذه الحياة وبقائها وسهولة سُبلها، فلو تحدث أحدهم عن عامل الشرك بالله وأنه سببُ خراب العالَم ودمار الأُمم والمجتمعات لَكان أضحوكةَ لمفكري المسلمين قبل غيرهم، ولو تحدث آخرٌ عن جريمة ترك الصلاة وأنها سبب لذلك كذلك لاتُهِمَ بالجهل، ولَرُمِيَ في سُلَّةِ القُصَّاص والوُعاظ الذين لا يحق لهم دخول عالَمِ الفكر والتنظير.

أما لو قِيل في الوسط الإسلامي مِن عوالم الأحزاب الإسلامية السياسية والفكرية عن أثر قِيام الليل في التوفيق والهداية والتسديد وتقريب النَّصر وتحقيق الظفر، وأنَّ وجوده في العالمين عامل مُهِمٌّ في إنجاح خُطة هذه الجماعة للوُصول إلى أهدافها فوالله الذي لا إله إلاَّ هو لَرأيتَ قوله تعالى: ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا﴾ [الحج: ٧٢] رأي العين من القادة فيهم.

«قيام الليل» هذا مجاله الوعظ والقص، أما أن يكون جزءاً مُهِماً في بناء الإنسان، وشطراً ضرورياً في تحقق المجتمع الآمن السليم السوي، ورُكناً يبذل له العاملون جُهدهم فهذا لا يُعرف في زمانٍ تحول الإسلام إلى منطقة الظل، إذ تنعكس عليه حقائقه الجاهلية فيتلاشى في داخلها.

راقب كل تلك الجموع والأحزاب والشخصيات التي تدعو إلى إعادة الحياة الإسلامية كما هو شِعارهم وتأمل مشاريعهم وما يدعون إليه فهل ترى لهذا النداء النَّبوي العظيم أثراً في خُطبهم ودُروسهم ومواقفهم.

«وصَلوا بالليل والنَّاس نِيام»

مع هذا النداء تكون خصوصية البناء الإسلامي، ومع هذا الشطر يكون الافتراق بين ميراث الأنبياء ومناهجهم وبين دعوات الجاهلية وتصوراتها، ومن غير شرطِ التمايز هذا بين الفريقين فإنَّ تحقق النَّصر وهْمٌ خادعٌ لا يكون أبداً، فإنْ وقع الوصول لبعضهم فلن يكون إلاَّ واحداً مِن جُمُوعِ الجاهلية التي لا تحقق رضى الله ولا تهدي النَّاس إلى أعظم خيرٍ لهم ألاَّ وهو دخول الجِنان.

مع إفشاء السلام وإطعام الطعام يمكن أن يُدركَ الباحث الارتباط السُّنني بينها وبين عالم الأرض وقوانينها، وأما مع هذا الرُكن فإنَّ صبغةَ النبوة تلقي بحقائقها أنَّ هذه الوَصفة وصفة خاصة، وأنَّ صاحِبها وحامِلَها جاء ليحقق عالماً آخر، قد يلتقي مع مذاهب إنسانية تدعو لخير الإنسان في الدنيا من العدل والحق، ولكن هذا الالتقاء لا يحقق الالتباس بين الدينين والمبدأين، لأن ما يحققه منهج الأنبياء وما تحمله دعوتهم لا يكون له سمة اسم المنهج الإسلامي إلا بالنسك والإخبات والعِبادة الخالصة لله تعالى، وهذا ليس على المعنى الذي ينتشر بين الناس اليوم ـ وهو معنى صحيح ـ وهو أن يقوم بأعمال الدنيا رجاء الدار الآخرة، لكن على معنى هذا الركن ـ وهو قيام الليل ومعناه ـ لتحقق سعادة الإنسان المسلم،

ولتحقق دوام وأمن المدينة المُسلمة يعني أنَّ تلك الأعمال الأُخرى التي يتشارك فيها النَّاس في التحسين والتقبيح كنُصرة المظلوم وإغاثة الملهوف لا تكون إسلاماً بغير هذا الشرط والمعنى، وهو أن يكون صاحبها قبل كل هذه الأعمال مُسلماً عامِلاً لأعمال النُّسك والعبادات، فالإسلام ليس قسمة مُتناثرة يأخذ كل واحد منه ما يحب من أجزائه ويطغي عليه اسم الإسلام، بل الإسلام له أصلٌ وجُذُورٌ، ولا يجوز أن تُنسب أبعاضه[1] له إلاَّ وهي متصلة بهذه الجذور ملتحقة بها.

فالإسلام ليس نُصرة للمظلوم ولا إغاثة للملهوف ولا حُسن خُلق ولا صِدق حديث ولا أداء أمانة إن لم تكن هذه الخِصال قد بُنِيَّتْ على قاعدتها من الإيمان بالله والدار الآخرة وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت.

لقد نازعتْ قريش رسول الله T في مسائل الأعمال الحسنة التي تقوم بها، وأنَّ قِيامها بحقها كما تزعم يُعطيها حقَّ القُرْبِ مِن الله أكثرَ مِن رسول الله T، فردَّ الله عليهم كل هذه المزاعم وأبطلها عليهم شرعاً وقدراً.

فقد زعموا أنهم بقيامهم في عِمارة المسجد الحرام وخِدمة أهله يُعطيهم حقَّ القُرب والولاء، وهذه سِمَّةٌ مِن سِمَّاتِ الجاهلية فإنها حين تعجز عن ردِّ الحقِّ وإبطاله تذهب تُنازع أهله فيه، وذلك من خلال قِيامهم ببعض أعماله التي يدعو إليها، وهكذا فعلتْ قريش، وهكذا يفعل وُرَّاثهم في كلِّ زمنٍ، فقال الله لهم: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ١٩].

هذا مع عِلْمِهِ سبحانه وتعالى أنهم يعمرون المسجد الحرام من أجل فخرهم على الآخرين، فيحقق لهم العُلُو عليهم، كما أنه يحقق لهم منافعهم المادية،

[1] أبعاض مُفردها: بعض. وبعضُ الشيء: طائفة منه.

ولذلك قال قبلها: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [التوبة: ١٧].

لقد جاء الأنبياء بأصلٍ لا يجتمع مع دعوة غيرهم مهما كانت مُقاربة هذا الغير للحق الذي بعث به هؤلاء الأنبياء، هذا الأصل هو عبادة الله تعالى والخلاص النُّسك والإخبات له، فلا خيرَ في دينٍ لا صلاةَ فيه، ولا حظَ لأحدٍ في الإسلام إنْ تركَ أحدَ مَبَانِيهِ وأركانِه، وجاء بقاعدة الاحتساب، وهو أن تكون أعمال المرء كلها رجاء إرضاء الله والدخول في الجنَّة والفِرار من النَّار، فإنْ خلتْ أعمال المرء من هذا الأمر لم يكن ممدوحاً في الإسلام، ولا يحق له أن يدَّعي النِسبة إليه، ففي الصحيح أنَّ عائشة رضي الله عنها قالت: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: «**لاَ يَنْفَعُهُ. إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْماً: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**»[1]. وهذا الأصل يتخلى عنه أقوامٌ اليوم لاجتماعهم مع الآخرين على بعض الحسنات، بل إنهم لا يرونه في برامجهم الحزبية ويأنفون من ذِكره إنْ اجتمعوا مع غيرهم، بل ربما ـ وهو كثير ـ لا يُراعون في تربية أتباعهم ويجعلونه تالياً لا أصلياً.

المسلم شخصيةٌ فريدةٌ تجتمع فيه خِصال الخير مع الآخرين لكن لها صِبغة العُبودية لله وذِكْرِ الدار الآخرة، وهي في كلِّ ما تعمل من أعمالٍ لها خِصالٌ ذكرها الله في كتابه في مواطن منها قوله: ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [التوبة: ١١٢]، وفي قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦ـ ١٧]. وقوله تعالى:

---

[1] «مسلم»: ٣/٦٩/ح٤٧١ .

﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٥]. وقوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ـ ٤]. وغير ذلك من الآيات.

فهذه خصالُ الشخصية المُسلمة، وبهذا تتميَّز، وإنه لَمن سُبُلِ الجاهلية أن يجروا هذه الشخصية إلى منطقتهم بعيداً عن هذا التميُّز، وذلك عن طريق تجريد فروع الدين الحسنة العظيمة عن أُصولها وقَطعها بعيداً عنها حتى يكون الحال هو الحال.

هذه المعالم وهي صِبغةٌ ربانيَّةٌ فيها العيش مع الغيبِ وما بعد الموت لا تعني غِياباً عن الحياة، لكن كذلك الحضور مع الحياة وواقعها لا ينبغي أن يذهبَ بالمسلم بعيداً عن هذا العالم الحقيقي العظيم، ولذلك فإنَّ مسيرة الكثير من العاملين في المجالات الإصلاحية تحت شِعار الإسلام لن يصلَ بهمُ إلى الوعود الإلهية كما أرادها الله للأنبياء وأتباعهم كقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ... ﴾ [الحج: ٤١]، وحين يصلون ـ إن وصلوا ـ تكون خُصوصيتهم قد ضاعت خِلال الطريق، فلم يكن وُصولهم إلى على صُوَر التقليد للآخرين في صناعة الإنسان والدولة، وهذا واقع بعضهم اليوم، يراه المُتابع وهُمْ في وسط الطريق، بل إنَّ بعضهم يُرى منهم ذلك وهُمْ في بدايته.

خطاب إحياء الأمة المسلمة في بُعْدِهِ الفكري والعِلمي يجب أن يكون ربانيّاً، فيه حقيقة الدين والصلاح والتقوى، وفيه ركنٌ أصيلٌ وهو تحقيق الإنسان العابد الصالح الذي يُراعي قِيام الليل، ودوامَ الذِكر، والحِفاظ على صلاة الجماعة،

وصِبغة الهَدْي الظاهر، والإكثار من النوافل، فإنه إنْ خلاَ هذا الخطاب من ذلك، وفرغ الداعي والمُصلح منه لم يكن لهذا التجمع، ولا لهذا المُصلح، ولا لهذا الخطاب صِفة الربانيَّة التي تستحق التأييد والنَّصر، ولِتحقق ذلك يجب استحضار صورة المُسلم الصحابي الأول في اكتماله وعَطائه وعِبادته وجهاده وعِلمه وتَقواه، وهذا يكون من خلال نشر أخبارهم في واقعها المُتكامل دون تجزئةٍ، وهي صُورة تبيِّنُ أنَّ المرءَ فيهم لا يكون مقدماً ولا ترقى مرتبته إلاَّ مِن خلال العِلْم الشرعي وحِفْظِ كتاب الله والفِقْهَ فيه، وحفظ سنة رسول الله T، وكذلك بمقدار طاعته وعِبادته وذِكره وصلاته وصِدقه وبلائه، وهذا على الضدِّ من مناهج الشر والبدعة ممن هم مُتَنَكِبُونَ هذا الهَدي، إذ أنك تجد سمة الرجل العابد المُخبت في الطبقات الدنيا في هذه التجمعات، وكلما ارتفعت درجة المرء فيهم قَلَّتْ هذه الخصال، وصارتِ التقدمة لخصالٍ أُخرى هي عين خصال مناهج الجاهلية في الدفع والترقية والتقديم.

«وصَلوا بالليل والنَّاس نِيام»

النَّاس هم غيركم، نِيامٌ لا يذكرون الله، فهم أمواتٌ كما قال T: «**مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ**»[1]. وأما أنتم فعِباد الله الذين اصطفاكم لهذا الدين وإصلاح العالَم فلا بدَّ لكم من علاقةِ قُرْبٍ معه حين غفلةِ الآخرين، وبها يحصل لكمُ العطاء والمَدد والنُّصرة، ولذلك ليس عجيباً أن يكون قِيام الليل في ابتداء التشريع فَرْضاً، ويكون ذِكره مُقارناً لأمر الدعوة والقيام بحقها، فبعد قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ [المدثر: ١ ـ ٢]، ينزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢﴾ [المزمل: ١ ـ ٢]، وهو أمرٌ يتكرر في القرآن المكي

[1] «البخاري»: ٥/٢٣٥٣/ح٦٤٠٧ .

كما في سورة الإسراء قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٩]، وهو أمرٌ مقارنٌ لبُشرى فتحيْنِ عظيميْنِ لرسول الله T أولاهما: قوله تعالى له: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴿٨٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٠]. فهذه الهجرة إلى أرض النصرة والتمكين، أرض المدينة النَّبويَّة، **وأما الثانية** فهي قوله: ﴿ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء: ٨١]. وهو التبشير بزوال الشرك عن مكة كما حصل من فتحها، وهكذا يكون أمرُ الدَّاعي والمجاهد والعالِم والعابد لهم شعارٌ جامعٌ لا يختلف عنِ المُقدمين فيهم، وهو شعارُ الصالحين في كلِّ الأزمان ألا وهو قِيام الليل.

وكذلك نزل في مكة قوله تعالى في سورة «الإنسان»: ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الإنسان: ٢٥-٢٦]، وفي سورة «الفُرقان» ذكر أوصاف الصناعة الربانيَّة للإنسان المُسلم في قوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٧٦﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٣-٧٦]، وكذلك في سورة «الذاريات» يذكر الله تعالى صفات المؤمنين الذين يستحقون الجنان بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الذاريات: ١٥-١٨].

فهذه الخِصلة هي مِن أُسُسِ بِناء المسلم الذي يعد في زمن الغُربة لتحقيق الوراثة، وهي جزءٌ من شخصية المُجدد للعِلْمِ والإرادة، وهي مَعْلَمٌ لأولئك الذين يتحملون عَناء الطريق وبُعْدَ المشقة.

ومما يُلاحظ أنَّ القرآن في سورتي «المزمل» و«الإنسان» جعلَ قِيام الليل في معرض قضيتين مهمتين، **أولاهما**: ذِكْرُ أمْرِ عَظمة القرآن وثِقله، **وثانيهما**: أمر ما يُلاقيه رسول الله T مِن الصبر في الدعوة؛ ففي سورة «المزمل» يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ٦ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ٧ ﴾ [المزمل: ١-٧]. فكان أمر قيام الليل هو لهذين المَعنيين للإعانة عليهما، أي الإعانة على عَظمة هذا القرآن ليحصل الحب والأُلفة والفهم والفقه، والإعانة على أمر الدعوة والصبر على ما يكون فيها.

وهذا هو نفسه في سورة «الإنسان» إذ يقول ربنا: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ٢٣ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ٢٤ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٢٥ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ٢٦ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ٢٧ ﴾ [الإنسان: ٢٣- ٢٧].

فهكذا هي حقيقة هذه الشعيرة العظيمة، حيث تُصبغ المُصلح والعامل للحقِّ صِبغةً خاصةً، فيها يتم نزع صورة الافتراق النكد بين الرجل الصالح والمُصلح، وبين العابد المُخبت والمجاهد، وبين الذاكر الولي والسياسي والمُفكر، وهو افتراقٌ مستقرٌ في ذهن النَّاس اليوم، فمن غرائب الوجود كالعنقاء أن يتصور النَّاس اجتماع هذه الحقائق في شخصٍ واحدٍ، ولذلك بهذا الافتراق يتم ابتعاد الخطاب الفكري والإصلاحي عن مَنبته الديني وحقيقته النَّبويَّة.

إنَّ المنهج النَّبوي في صناعة الإنسان الصَّحابي، والمجتمع المُؤمن الفاعل أن يقدم لهم كل هذه المعاني حزمةً واحدةً كما هي طريقة القرآن، لتكون رعاية النفوس لها على وجهٍ واحدٍ، فالله يقول في سورة «المؤمنون»: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ

﴿فَٰعِلُونَ ۝٤ ...﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٤]. فالله سبحانه وسط الإعراض عن اللغو بين الصلاة والزكاة، كما ذكر بعد ذلك أموراً أُخرى هي على هذا المعنى، وكذلك في سورة «الشورى» يقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣٨﴾ [الشورى: ٣٨] فوسط أمرَ الشورى بين الصلاة والزكاة كذلك، وهكذا يتم صناعة العَبد ومجتمع العُبودية لربِّ العالمين.

وأمر قيام الليل في الحِفاظ على نَقاء إيمان المسلم، وصفاءِ دينه من الضلالات يُدركه المرء مِن تأمله لكتاب الله تعالى إذ أنَّ الليل هو أشدُّ وطئاً، وبه يتم قراءة القرآن، والتفكر فيه، ومَن تأمل الآيتين في ذكر كلمة «التدبر» لكتاب الله تعالى يجد أنها في سِياق حالتيِ الردة والنِفاق، ففي سورة «النساء» يقول الله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٨١ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ...﴾ [النساء: ٨١ ـ ٨٣].

وفي سورة «محمد» (القتال) يقول الله تعالى: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۝٢١ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ۝٢٣ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ۝٢٤ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم﴾... الآيات [محمد: ٢١ ـ ٢٥].

ومَن تدبر في هذا الأمر عَلِمَ يقيناً أنَّ حالتيِ النفاق والردة منشؤها غِياب القرآن عنِ المرء، وهذا ما يُشاهد اليوم مِن جُمُوعِ المُنحرفين الذين يذهبون بعيداً مع مطالب الكافرين، فتغيب عنهم صورة الصحابي المُهتدي والعابد، فلا يبقى للقرآن أثرٌ في حياتهم وفي اختياراتهم، ولو تفكروا هم في ذلك لَوجدوا أن عنايتهم بهذا الوقت ـ أي قيام الليل ـ وبهذا الإرشاد وهو القرآن تكاد تكون

معدومة، وهي التي تجرُّ عليهم واردات الشيطان وتُقوي فيهم الدخول في طُرقه ومناهجه، ومَن أراد الحق كما جاء به رسول الله T وكما هو في كتاب الله تعالى أتاه من مصدره وفي وقته الذي يتحقق به التنزُّل لهدايته، وتفيض فيه المعاني على مُتدبره.

ويجمع الأمرين أي أنَّ قيام الليل يحقق منعَ التحاق فاعِلِه بالباطل وأهله، ويعصمه من الانحراف إليهم، وكذلك يُعين الداعي في أمر الصبر على محن الخُصوم بما قاله الله تعالى في سورة «الإسراء»، فإنَّ الله تعالى ذكر فيها رحمته برسوله مِن منعه من الفتنة باللحوق بالكافرين فقال: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ﴾ .. إلى قوله: ﴿ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٣ـ ٧٥].

ثم ذكر سبحانه أمر ما يلاقيه الرسول T من إيذاء المُشركين فقال: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٦].

ثم جعلَ مُقابل هذين الفِعْلَيْنِ قوله تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٨ـ ٧٩].

وهذا الأمر الجليل العظيم جعله الله واسطة العقد بين واقع المحن العلمية والمحن العملية وبين الوُعُودِ اللاحقة لذلك، وهي الهجرة والفتح كما تقدم وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٠ـ ٨١].

ومَن تدبرَ في هذا على وجهٍ صحيحٍ عَلِمَ قيمة العبادة والإخبات في تحقيق النَّصر، وفي قيمة الصلاة؛ المُفترضة والنافلة وأعظمها قيام الليل في تثبيت المؤمن

على الحقِّ عِلْماً وعَمَلاً، وهذه خُصوصية للعاملين لدين الله دون غيرهم من العاملين في مناهج الباطل، وهي خصال لا تُوجد إلاَّ مع الأنبياء ومناهجهم في إقامة الدين وتحقيق النَّصر له وللمؤمنين، وبالتفكير في ذلك يهتدي المرء إلى خُصوصية البناء القرآني للإنسان المُسلم المجاهد والعالِم والداعي، لا كما يريد البعض من هؤلاء بأن يبنوا على طرق الأغيار ومذاهبهم.

انحراف المنهج وتبدل القلوب والاتجاهات، وكذلك الضعف عن مُواصلة الطريق ومُواجهة التكاليف له سببٌ لا يُدرك في مناهج الجاهلية، ولكن أقامه القرآن وهدى أهله إليه، ألاَّ وهو ضُعف التعبد، وأجل هذا التعبد في هذا الباب هو قيام الليل وطول القُنوت فيه، وهذا أمرٌ مشهودٌ في سيرة علماء هذه الأُمَّة أي إعانة قلوبهم في إدراك الحق من خلال العبادة والسجود والذكر والاستغفار، لأنهم يدركون قوله تعالى: ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ (١٩) ﴾ [العلق: ١٩]. فإنَّ السجود والعبادة تزيد قُرب المرء مِن الحقِّ، وتُبْعِدُ عنه الهوى والظن كما قال تعالى عن خصمي الحق: ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ﴾ [النجم: ٢٣]، ويُضادهما هو قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ (٢٣) ﴾ [النجم: ٢٣]، وهذا الهُدى ليس فكراً ولا مجرد معلومات بل هو مفسر في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٢) ﴾ [الجمعة: ٢].

ما يغيبُ عن الكثيرين الذين يذهبون في سُبل الجاهلية، والساقطين ضُعْفاً وانسحاباً من المُواجهة أنهم لا يلحظون اقترانَ هذا الانحراف والضُعف مع ضُعف العبادة والذكر وقراءة القرآن وقيام الليل وكثرة الصلاة وكثرة السجود، بل لا تجد في باب الرصد مِن قِبَلِ الآخرين لهم تعليق هذا الانحراف والسقوط بسبب ذلك، ولو قالها أحدهم لَما وجدتَ وَعْياً حقيقياً بهذا الباب.

فِتَنُ هذا الزمان عظيمة، وقضاياه جليلة، والمعركة تكاد تكون الأشرس في تاريخ الأمة الإسلامية بعد عصر النُّبوة، ويخالط هذا كله رُكام جهالات تاريخية كثيرة، وهذه في اجتماعها تحتاج إلى دينٍ عظيمٍ في نفس الثابتِ على الحقِّ، وهذا الدين ليس فكرة يستحسنها المرء، ولا هوى يُسبغ عليه كلمات من هنا وهناك، بل هذا الدين هو علاقة قُرْبٍ مُتواصلةٍ ودائمةٍ مع مصدريِ الهَدي؛ الكتاب والسنَّة، وعلاقة قُرْبٍ مُتواصلةٍ مع الله بإدامة الإخبات له والالتجاء إليه والتضرع له، وعلى المرء الذي يُريد الحقَّ أن لا يقبل واردات العقل مهما استحسنها وهو في حالة غِيابٍ عن القرآن وظرفه الذي تنزل فيه هدايته ومعانيه، أي قيام الليل، بل عليه أن يشك بل يرد هذه الاستحسانات العقلية وهو على هذه الحالة، والموقف الصحيح هو أن يُزكي المرء باطنه بالعبادات وكثرة الذكر والمُحافظة على قيام الليل مع طُول تدبرٍ للقرآن في هذا القيام، فإنه إنْ فعلَ ذلك سيُدرك أن المعاني التي تأتيه على هذا الحال ليست هي المعاني التي تأتيه وهو في بُعْدٍ عن هذا الحال، وهذه قضية ليست من المُستحبات والنوافل في إصابة الحقِّ، بل إننا علمنا أنَّ الرِدَّة والنِفاق مُقترنان بترك تدبر القرآن كما تقدم، والشر يتسلل إلى القلوب خطوات حتى يأتلفه ويستحسنه دون إدراكٍ لخبثه كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٨]. وهذه أخوف آية في هذا الباب، والمرء لا يُدرك ما فيه مِن الخُبث والجهل حتى يقفَ في النُّور، وأما وهو مقيمٌ في الظلام فإنَّ كلَّ ما يأتيه حَسَنٌ وخاصة أنَّ هناك مُوافقة بين الجهل والهوى ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [النجم: ٢٣]. وهذا الهوى أي التشهي والاستحسان والإعجاب بالأفكار والأقوال هو ما يُسميه النَّاس لأنفسهم فكراً واجتهاداً أو تجديداً، فإنْ أراد المرء لنفسه الخير للخروج من هذا الوهم و«الاقتناع» فعليه أنْ يعرضَ ذلك على القرآن في بيئته، فَلْيَقِفْ زمناً طويلاً وثباتاً مُتواصلاً مع القرآن في قيام الليل ليرى كم سيبقى من هذه «القناعات» بعد ذلك.

أما الجدال والكلام والمُباحثة فإنها سبيلٌ صحيحٌ لإدراك الحقائق لكن ماذا يصنعُ المرء اليوم وهو لا يرى في هذا الوادي إلا مطيحة مجعيّة، أو مُتردية قائمة على رأسها، أو عرجاء كسيحة، أو هرمة ذهب مخها، فالطريق المُهتدي لمن أراد الله والدار الآخرة هو الذهاب إلى القرآن في بيئته، ودوام السجود حتى يحصل القُرب، وهذا هو ما كان يُسميه الأوائل بالعقل الفِطري، وهو عند عُقلاء النَّاس أقوم منهج في إدراك الحقائق عند اختلاطها وإعجاب كل امرئٍ برأيه.

«وصَلوا بالليل والنَّاس نِيام»

يقولها رسول الله T في خُطبته الأُولى وهو يحط رِحله لقيادة هذه المدينة نحو الحقِّ والهداية والنَّصر ووِراثة الأرض، وهي كلمات المُهتدي به المقتدي لغَرْزِهِ في دعوتهم لتجديد الأُمَّة وأخذها إلى إزالة الغُربة الثانية، أما الذين لا يرون تجديد الإرادات، بل كل اهتمامهم لإصلاح كلام النَّاس وألفاظهم فهؤلاء في بُعْدٍ جَلِيٍّ عن طريقة النبي T، وعليهم إن أرادوا خيريِ الدنيا والآخرة أن يعلموا خُصوصية هذا الدين في بناء المسلم الصَّحابي الجديد حيث تتجدد صورة العابد الذاكر المُخبت القائم الصائم التالي لكتاب الله آناء الليل وأطراف النَّهار، والذين يقفون أمام الكلمات والصُوَر، ويخوضون معارك الكلمات، ويربون جنوداً لهم ألسنة طِوال وإرادات عاجزة فلن يأتي منهمُ الخير لهذا الدين؛ ولقد جربتِ الأُمَّة إنتاج هؤلاء فماذا كان منهم إلا تجار ورقٍ بعناوين السلف، أو ألسنة كلام دون ذكر الله إلاَّ قليلاً، إذ يعجز أحدهم عن صلاة الجماعة، وهو كما يُشَبَّه في بعض الأخبار: قُطْرُبَ[1] نَهَارٍ وَجِيفَةَ لَيْلٍ.

[1] القُطْرُب: دُويبَّةٌ تسعَى نهارَها دائبًا. وأخرج الطبراني في «المعجم الكبير» قال: عن خيثمة قال قال عبد الله: «لا أَلْفَيَنَّ أَحَدكُمْ جيفَةَ لَيْلٍ قُطْرُبَ نهارٍ». ٩/١٥٢/٨٧٦٣ .

لقد وصف الله أتباع رسوله T بقوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ [المزمل: ٢٠]، وأقرب النَّاس للحقِّ في كلِّ زمانٍ هم أشبههم بهؤلاء القوم.

«تدخلوا الجنَّة بسلام»

هذه مثيرةُ العزائم وباعثةُ الهمم، فهي التي تطير لها نفوس الرجال المؤمنين حتى تغيب عن واقعها، وتهون عليها الغمرات والصعاب، فما مِن خيرٍ رغبَّ الله عباده به إلاَّ من خلال أخبارها وحقائقها ومعانيها، فالله قد اشترى النفوسَ منهم وجعل ثمنها الجنَّة، وأخذ منهم أموالهم مِن أجلها، ومنعهمُ النَّوم والرُّقاد بسببها، وهمْ في جدٍ وتشميرٍ، وبذلٍ ومقاربةٍ، واندفاعٍ ومُسارعةٍ حتى يُدركوا مُستقرها.

ومن خُصوصية البناء القرآني والنَّبوي أنه لا تجميع النَّاس إلاَّ عليها فهي قضيتهم التي من أجلها يأتلِفون ويترافقون، فهي شعار حزبهم وتجمعهم ومدنيتهم، والحادي في هذا لا يأتي بهم إلاَّ على رغبة هذه الجموع بالدار الآخرة وتحصيل الجِنان، فإنْ كان الأمر كذلك كان ما بعدها هيِّنٌ، فالخصومات مقضية، والصِعاب محتملة، فلا ثورة على قائدهم بسبب رغيفَ خُبْزٍ ضاع من أيديهم ثمن المبادئ التي يحملونها، ولا حرب إخوان وأهل من أجل أثرة يقع فيها ضعيف يخالف جمع الصفوف، فحين تشتد الَّلأَوَاء[1] وتضيق الحياة ينبعث قائدهم ليقول لهم: «والله لو تعلمون ما لكم من الأجر لتمنيم أكثر من هذا» وحين تقع القُرُوح

[1] قال الأصمعيُّ: أصابتهم لأْوَاءُ ولَوْلاَءُ، وشَصَاصَاء، إذا أَصَابتْهم سَنَةٌ وشِدَّة. «تهذيب اللغة» لأبي منصور محمد بن أحمد الزهري. في الحديث عن أبي هريرة Z قال: قال رسول الله T: «**مَنْ كُنَّ لَهُ ثَلاث بَنَاتٍ فَصَبَرَ على لأْوائِهِنَّ وَضَرَّائِهِنَّ أَدْخَلَهُ الله الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ إِيَّاهُنَّ..**». «المستدرك على الصحيحين»: ٤/١٩٥/ح٧٤٢٢. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

بفُقْدَانِ الأحبة تلقى على مسامعهم أحاديث المُستقر الجديد في عالم الغيب لهؤلاء الراحلين الشهداء، فتسكن النفوس وترضى القلوب وتعود إلى مُواصلة الطريق.

البناءُ الربَّاني ليس تجميعاً بَهيمِياً يُجر إلى زِريبة طعامٍ عاجلةٍ، ولا سائِقاً لعُلُوٍ فاسدٍ في الأرض الفانية، لأنَّ هذه أبنية هَواء تقوم حيناً، ويفرح بها أهلها لكثرة الآتين والمُسارعين إليها ثم لا تلبث أن تأكل الأحلامُ رجالها، فيطبق كل واحد منهم على أثرته كالكلب المسعور، ويبدأ التهارش والخُصومات، وتدب أدواء الأمم من الحسد والتنافس فتكون هلكة هذه التجمعات.

من أجل هذه الخُصوصية في البناء، ومن أجل هذه الربَّانيَّة في المجتمع النَّبوي الفريد ذهب الجاهلون من زاعمِي الفكر إلى أكاذيب الدجل والضلال أنه لم يكن لرسول الله T دولة، ولم يكن في المدينة تمكين الحكومات، لأنهم لا يعلمون الدول إلاَّ على وجه البناء الخالي مِن العقوبة الأُخروية أو الجزاء الأُخروي، فهم هكذا يرون الدول المُعاصرة لا سائقَ لها إلاَّ الأحكام الجامدة، والقوانين الأرضية، أما أن يُهدد القائد الحاكم شعبه بعذاب الله إنْ خالفوا الشرع والقانون، ويُرغبهم بالجِنان إن التزموا بها فهذا خارج النص، ونسيجٌ لا يعرفون وجهه لأنه نسيج وحده.

أما دولة الرسول T ليست دولة الرفاهية للشعوب، وإن كان يحصل بها ذلك وعداً من الله، وهي ليست دولة الخدمات، وإن كان هذا من فُروعها، ولكن دولة الرسول T لها هدفٌ أَوليٌّ لا يحق لها أن تنسب له إلاَّ به ألا وهو دولة إقامة حق الله في الأرض، ودولة تعبيدِ النَّاس لربِّهم ممن هو في سُلطانها ومَن هو خارج سلطانها، أما من هو داخل سلطانها فبالأمر بالمعروف والنهي عنِ المنكر، وأما من هو خارج سلطانها فبالجهاد في سبيل الله تعالى، وهذا رُكنها الذي تَهُونُ أمامه كل الأمور، وحين يكون الأمر كذلك فإنَّ هذه الدولة ستأخذ من أهلها الكثير قبل أن تُعطيهم، وسيُبْتَلَى أهلها البلاء تِلْوَ البلاء حتى يَبل ريقهم بقطرات الخير

الموعود، فإنْ كان الأمر كذلك فإنَّه لا يقوم على هذا البُنيان مَن جاء لدنيا سريعة أو عاجلة مَهِينة، بل لا يصمد هنا إلاَّ مَن باع روحه من أجل الجِنان.

تأملْ هذه الأحزاب الإسلامية التي تريد إقامة شرع الله في الأرض، وتبح حناجر أصحابها بأنَّ مقصدها إقامة المجتمع الإسلامي، ثمَّ تأملْ وراء ذلك وُعُودهم للجُمُوعِ، وراجِعْ برامجهم في هدف الدولة المنشودة، فهل ترى إلاَّ دنيا مُركبة يزاحم بعضها بعضاً، ولذلك تراهم يفهمون دولة الإسلام على معنى هذه الدول التي تحقق رفاهية الدنيا بلا جهاد، وتسعد أهلها في الدنيا بلا بلاء، فدولة الإسلام هي واحدة ضمن نسق ونسيج عالم الآخرين، تطلب رضى الجموع التي تلهث للترف والنعيم، فيتنازلون لهم ما شاءوا لقبولهم والانضمام لدعوتهم، فكم سيصمد هؤلاء أمام معارك الإسلام القادمة، وكم سيبقى من هذه الجموع عندما يقع قوله تعالى عليهم: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ﴾؟! [البقرة: ١٥٥].

فإنْ أتاهم قائدٌ يحملهم على جادة الرسول T التي حمل أهل المدينة عليها بحرب الأحمر والأسود، فتأتيهم الجموع أحزاباً تِلْوَ أحزابٍ، وغايات تحتها الأُلوف وعشرات الألوف فكم سيبقى تحت غاية هذا القائد، والنَّاس اليوم يرون أنَّ هذه الأحزاب تركض سِراعاً ركضاً يُنافس الآخرين حين يُلَوَّحُ لهم من الآخرين ببعض المناصب والفُتات، وهم لضلالهم يَعُدُّونَ هذا الفُتات انجازاً ونصراً.

إنَّ هدف المسلم ودولة الإسلام يتناسب تماماً مع عَمله وقَدره، هكذا يتحدث القرآن، وانحراف أحدهما يعني انحراف الآخر، فحين تضعف الرغبة بالجنَّة ويضعف الخوف من النَّار ومُراقبة ربِّ العالمين يبدأ عمل هذا الإنسان بالانحراف إلى الدنيا وشهواتها، وهذا يعني المعصية والخروج عن طاعة ربِّ العالمين، وهكذا دولة الإسلام، فإنَّ طاعتها لله يعني أن تكون مجاهدة وآمرة بالمعروف

وناهية عنِ المُنكر، وهي تكون كذلك حين يكون هدفها الجنَّة وإرضاء الله، وستبصر على طاعة الله تعالى وستصبر على الأقدار اللازمة لهذا الأمر، وحين تتخلى عن هذه الطاعة وهي ركن تسميتها بالدولة المُسلمة فإنها تذهب إلى صورة الدولة الجاهلية في وِديان إرضاء أهل الأهواء والشهوات، ولذلك ترى مَن ملأ الدنيا صُراخاً أنَّ هدفه إقامة دولة الإسلام على منهج الرسول T ما أن يصل إلى نوع تمكينٍ حتى يتخلى عن هذا الرُكن، ويقبل دولة على غِرار دولة الجاهلية وبشروط الجاهلية وصِبغتها، بل إنَّ بعضهم لَيُعْلِنْ ـ وهو الشيخ وقائد الحزب الإسلامي ـ أنَّ هدفه ليس إقامة أحكام الإسلام إنما القضاء على البطالة وتحقيق الديمقراطية، ومَن لم يُعلن ذلك ويُصرح به فهو يمارسه، ومَن وصلَ منهم إلى نوع تمكينٍ!! كما يُسمونه يقع منهم ذلك فِعْلاً، فلا حضورَ للدين ولا للدار الآخرة، إنما هي الجاهلية وصِبغتها ومطالبها دون النظر إلى حقِّ الله من إقامة عبادته في الأرض.

هذا النبي T يبني بناءً خاصاً، ويخاطب أهل المدينة خطاباً جديداً لا في الظاهر فقط، بل في جوهر بناء الإنسان في هذه المدينة، وهو طريقٌ صعبٌ وشاقٌ لا يستجيبُ له إلاَّ القليل كما هي سُنَّة الحقِّ، لكنه طريقٌ ثابتٌ قويٌّ يحقق مقصد النبوة، بل يحقق مقصد وُجُودِ الإنسان في هذه الأرض، أما وضع الإسلام وأهدافه خطاً واحداً ضِمن خطوط الجاهلية الكثيرة، كلها تشترك بالصِبغة والهدف، وحين تختلف في الهياكل والرسوم، ويكون الإسلام مجرد تبديل حُكْمٍ بدل حُكْمٍ مع الحِفاظ على الصبغة ووِجْهة المسيرة فهذا ليس هو ما خَلَقَ الله النَّاسَ من أجله، ولا هو الذي بعث من أجله الأنبياء، ولا هو ما قاتلوا النَّاس عليه، ولأنْ يبقى المسلم ضعيفاً مع الحقِّ خيرٌ مِن أن يكون قوياً مع الباطل، ولذلك مِن الخير للكثيرين من العاملين للإسلام بقاءهم في مرحلة الدعوة والتبليغ ونُصْحِ المسلمين وتذكيرهم بالخير وتعليمهم الشرع، لأنَّ هذا المقام يدفعهم لقول

الحقِّ وبيان الشرع على وجهٍ أقرب إلى الحقِّ بحسب وُسعهم، لكننا نرى الذاهبين لما يُسمونه بالسعي والتمكين وإقامة دولة الإسلام يذهب عنهم ذلك كله، فلا دعوة ولا تبليغ ولا دين ولا ذِكر للآخرة بل هم خط فيه نوع تميز بالتسمية ضمن خطوط الجاهلية العديدة التي تشترك بالجوهر والصِبغة، وإنْ شئتَ الدليل فتأمل حقوق الله في النُّسك والعبادة في سلوك هؤلاء، وراقِبْ برامجهم في هذا الباب فهل ترى شيئاً من الدين فيها؟! وهل يجرؤ أحدهم أن يقول إنَّ دولة الإسلام التي يريدها ويسعى لإقامتها هي دولة جهادٍ ضدَّ طواغيت العالَم، وأنها دولة أمرٍ بالمعروف والذي أَعظمُهُ التوحيد، والنهي عنِ المنكر والذي أعظمُهُ الشِرك، أم إنَّ ما يُريدونه هو مجرد إبقاء الأُمور على ما هي عليه مع بعض الطَلاء الجديد؟!

إنَّ هذه الانحرافات، وهي ابتعادٌ عن هدفِ المسلم وصِبغته منشؤها غِياب الخطاب النَّبوي عن فَهْمِ هؤلاء، وحين يقف السياسي منا، وحامل راية الجهاد اليوم ليقول: هلمُّوا إلى الجِنان، فليس لكم هنا إلاَّ هذا حينها يكون قد وضع رجله على غَرَزِ المنهج النَّبوي، وحين يلتفتْ بعد ذلك لِصياغَة تصوره للعالَم الذي يريده، وللدولة التي ينشدها وللبرامج التي يسعى لتحقيقها سيجد أنها هي ما كان عليه رسول الله T وأصحابه، فإنَّ طالِبَ الجنَّة لا يهمه أن يموت في سبيل المبادئ، ولا يخوَّف من الشيطان أن يجوع ويَعْرَى ويُحارب، ولا يقف عداد حسابات يخاف أن ينفضَ عنه الأَتباع، بل هو يُهددهم بقوله: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ .. ﴾ [التوبة: ٤٠]، وبقوله: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ .. ﴾ [التوبة: ٣٩]. فهو لا يتنازل لتكثر الأعداد، بل يزيد في البلاء ليظهر الصادق من المداعي ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم .. ﴾ الآية [البقرة: ٢١٤]، فهم لن يخرجوا من امتحان إلاَّ إلى امتحان، وهم في ذلك كله يقولون له: «امْضِ لما أُمِرْتَ بِهِ، فَنَحْنُ مَعَكَ، وَاللهِ لاَ نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لموسَى ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ وَلَكِنِ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا

مَعَكُمَا مُقَاتِلُونَ. فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لَوْ سِرْتَ بِنَا إِلى بَرْكِ الغِمَادِ لَجَالَدْنَا مَعَكَ مِنْ دُونِهِ حَتَّى تَبْلُغَهُ..»[1].

إنَّ دولةَ الإسلامِ لا يستقيمُ أمرها، ولا تقوم بواجباتها، ولا يحتمل أهلها تَبِعَةَ ذلك كُلِّه إلاَّ إذا بُنِيَّ الإنسان فيها على هذا الخطاب النَّبوي: «تدخلوا الجَّنة بسلام».

هذا يعني أن يبدأ النَّاس المسيرة مِن جديدٍ، فلا يتخلون عن أمرٍ من أُمورِ الشرع العظيم تكاليفه مخافة عدم تحمل النَّاس له، لأنَّ هذا المنهج هو سبب الانحراف والضلال، فهو الذي جعل الفقيه يحلُّ ما حرم الله لأنَّ النَّاس لا يَسعهم اليوم كما يقول إلاَّ التخفيف والتيسير كما يزعم، وهو الذي جعل السياسي يتخلى عن مبادئ دولة الإسلام وأُصولها حتى يقبله النَّاس ويرضون منه أكثر مما يرضون من الآخرين، ونقطة البداية في صناعة الإنسان المُسلم والمجتمع الإسلامي أن يُقال لمن أراد هذا: هَلُمَّ إلى الجَنَّة التي طريقها الصِّعاب. وهَلُمَّ إلى إرضاء الله الذي لا يأتي إلاَّ بالبلاء والصبر والثبات، لأنَّ هذا الخطاب هو خطاب الصدق والإيمان، وهو الذي يحقق التمكين المحبوب لربِّ العالمين، وهو الذي يُقيم دولة الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عنِ المنكر، وهو الذي يحقق عالمية الخطاب بضرب كلِّ الطواغيت الذين أفسدوا الحرث والنسل، وهو طريقٌ ضيِّقٌ في أوله لا يأتي إليه إلاَّ القليل ثم بعد هذا الضيق فُسحة النَّصر والتمكين، وإلاَّ ففسحة الشهادة والجِنان.



[1] «دلائل النُّبوة» للبيهقي: ٣/٣١.

موعظة

★ عن أبي هريرة Z أنَّ رسول الله T قال: «**حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ**»[١].

★ وعنه Z قال: قال رسول الله T قَالَ اللهُ: «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ. فَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة: ١٧]»[٢].

★ وعنه Z يبلغ به النبي T قال: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مَائَةَ عَامٍ لا يَقْطَعُهَا. وَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ**: ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الواقعة: ٣٠]»[٣].

★ وعنه Z قال قال رسول الله T: «**أَوَّلُ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ، فِي السَّمَاءِ، إِضَاءَةً. لاَ يَبُولُونَ، وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ وَلاَ يَتْفِلُونَ وَلاَ يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ. وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ. وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ، الأَنْجُوجُ عودُ الطِّيبِ، وَأَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعِينُ. عَلَى خُلُقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ. عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ. سِتُّونَ ذِرَاعاً، فِي السَّمَاءِ**»[٤].

★ عن أبي سعيد الخدري Z قال قال رسول الله T:ـ

«إِنَّ اللهَ يَقُولُ لأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ.

---

1 «البخاري»: ٥/٢٣٧٩/ح٦٤٨٧ .

2 «البخاري»: ٣/١١٨٥/ح٣١٧٤، ٤/١٧٩٤/ح٤٦٦١، ٤٦٦٢. «مسلم»: ١٧/١٣٩/ح٧٠٨١، ٧٠٨٢، ٧٠٨٣ .

3 «البخاري»: ٤/١٨٥١/ح٤٧٦١ .

4 «البخاري»: ٣/١٢١/ح٣٢٥٧ .

يَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ.
فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟.
فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ.
فَيَقُولُ أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ.
قَالُوا: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟
فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»[1].

والحمد لله ربِّ العالمين

☆☆☆☆☆
☆☆☆☆
☆☆☆
☆☆
☆

[1] «البخاري»: ٢٣٩٨/٥/ح٦٥٤٩ ، ٢٧٣٢/٦/ح٧٥١٨. «مسلم»: ١٤١/١٧/ح٧٥١٨.

W

- «**الأدب المُفرد**» لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المُغيرة البخاري. طبعة دار الكتب العلمية/بيروت.
- «**الأموال**» لأبي عُبيد القاسم بن سلام. تقديم ودراسة وتحقيق: محمد عِمارة. طبعة دار السلام/القاهرة. الطبعة الأولى ١٤٣٠ـ٢٠٠٩م.
- «**التفسير القيِّم**» لابن القيم الجوزية. جمعه: محمد أويس الندوي. اعتنى به: أحمد بن شعبان بن أحمد. طبعة مكتبة الصفا/القاهرة. الطبعة الأولى ١٤٢٩ـ٢٠٠٨م.
- «**السنن الكُبرى**» لأبي عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار النسائي. طبعة دار الكتب العلمية/بيروت ١٩٩١م.
- «**الطبقات الكُبرى**» محمد بن سعد بن منيع الزهري البصري.
- «**المُستدرك على الصحيحين**» لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن حمدويه الضبي الطهماني النيسابوري الشهير بـ "الحاكم" ويُعرف بـ "ابن الربيع". طبعة دار الكتب العلمية/بيروت. الطبعة الأولى ١٩٩٠م.
- «**المُعجم الأوسط**» لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني. طبعة دار إحياء التراث العربي/بيروت.
- «**المُعجم الكبير**» لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني. طبعة مطبعة الزهرة الحديثة. الطبعة الثانية
- «**الموطأ**» لأبي عبد الله مالك بن أنس بن مالك الأصبَحي الحِميَري. طبعة دار الكتاب العربي/بيروت. ١٩٨٨م.
- «**تهذيب اللغة**» لأبي منصور محمد بن أحمد ابن الأزهر بن طلحة الأزهري الهروي اللغوي الشافعي. دار إحياء التراث العربي/بيروت. ٢٠٠١م.

- «**دلائل النُّبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**» لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي. طبعة دار الكتب العلمية/بيروت. الطبعة الأولى ١٩٨٨م.
- «**ذِكر الفَرق بين الأحرف الخمسة**» لابن السيد البطلوسي. دار الكتب العلمية/ بيروت. ٢٠٠٣م.
- «**سنن ابن ماجه**» لأبي عبد الله محمد بن يزيد الربعي القزويني ابن ماجه. طبعة دار إحياء التراث العربي/بيروت.
- «**سنن أبي داود**» لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني. طبعة دار إحياء التراث العربي/بيروت.
- «**سنن الترمذي**» لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي البوغي الترمذي. طبعة دار الفكر/بيروت. ١٩٩٤م.
- «**سنن الدارمي**» لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام التميمي الدارمي. طبعة دار الكتب العلمية/بيروت. ١٩٩٦م.
- «**سنن النسائي الصغرى وحاشية الإمام السندي**» لأبي عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار النسائي. طبعة دار المعرفة/بيروت. ١٩٩٤م.
- «**صحيح البخاري**» لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المُغيرة البخاري. طبعة دار ابن كثير. الطبعة الخامسة ١٩٩٣م.
- «**صحيح مسلم**» لأبي الحسين مسلم بن الحَجَّاج بن مسلم القشَيري النيسابوري ، طبعة دار الكتب العلمية/بيروت. ١٩٩٢م.
- «**مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**» لأبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي. طبعة دار الفكر/بيروت. ١٩٩٤م.
- «**مسند أحمد**» لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الوائلي. طبعة دار إحياء التراث العربي/بيروت. الطبعة الثانية ١٩٩٣م.